أجاثا كريستي

لغز الفتاة الثالثة

دار النجمة للنشر والتوزيع

لغز الفتاة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

لغز الفتاة الثالثة

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

- ١ -

سعل جورج بما يشبه الاعتذار قائلاً وكأنه يخجل سلفاً مما سوف يقوله: آنسة تطلب مقابلتك يا سيدي.

نظر إليه بوارو بدهشة واستنكار وقال: أنت تعرف أنني لا أقابل أحداً في مثل هذه الساعة المبكرة.

- هذا صحيح يا سيدي.

فسأله بوارو بحذر: هل هذه الآنسة حسناء؟

- في رأيي لا يا سيدي، ولكن أذواق الناس تختلف.

- هل أفصحَت عن السبب الذي تريد مقابلتي من أجله؟

- نعم يا سيدي، تريد مقابلتك لأنها تظن أنها ارتكبت جريمة قتل.

فحملق فيه بوارو ذاهلاً وهتف: تظن؟! ألا تعرف ما إذا كانت قد ارتكبت جريمة قتل أم لا؟

- هذا ما قالته يا سيدي.

- هذا كلام غير واضح، ولكنه مثير.

- لعلها تمزح يا سيدي.

قال بوارو: نعم، هذا جائز، وإن كان مزاحاً غريباً.

ثم رفع كوب الشاي إلى فمه وقال: دعها تدخل.

كانت الزائرة في نحو العشرين من عمرها، وشعرها الذي يصعب تحديد لونه يتهدل على كتفيها في إهمال مقزّز، وعيناها الواسعتان تنظران إليه بخمول ودهشة، وكانت مع الأسف ترتدي الملابس الغريبة التي ترتديها معظم فتيات هذا الجيل، حذاء طويلاً وجوروباً أبيض قذراً وبنطالاً وبلوزة...

أخذ بوارو ينظر إلى الفتاة وقد انتابته رغبة واحدة، وهي أن يلقي بها في حوض به ماء ساخن! كانت تلك الرغبة تنتابه كلما سار في الشوارع وشاهد مئات الفتيات اللاتي لا يختلف مظهرهن عن مظهر تلك الفتاة، وكان واثقاً من أن كل هؤلاء الفتيات يبذلن مجهوداً كي يظهرن قذرات.

دارت كل هذه الأفكار في رأس بوارو دون أن يظهر على وجهه ما ينمّ عنها، ثم نهض في احترام وصافح الفتاة وقدّم لها مقعداً وقال: لقد طلبتِ مقابلتي، أليس كذلك؟ تفضلي بالقعود.

جلست الفتاة في حركة آلية وهي تحملق في وجه بوارو بدهشة ثم قالت: لا.

وترددت قليلاً ثم قالت فجأة: أنا أفضّل أن أقف.

قال بوارو دهشاً: على رسلك.

فوقفت الفتاة وهي ما تزال تحملق في وجهه بذهول

وتتململ في وقفتها بعصبية، وأخيراً قالت: أنت... هل أنت هيركيول بوارو؟

- نعم، هل أستطيع مساعدتك؟

فقالت بتردد: يا إلهي! من الصعب أن... أعني...

فقال بوارو لينقذها من حيرتها ويساعدها على الإدلاء بما تريد قوله: أخبرني خادمي، جورج أنك تريدين التحدث إليّ بشأن جريمة قتل تظنين أنك ارتكبتِها، هل هذا صحيح؟

- نعم.

- ولكن هذا موضوع لا يفيد فيه مجرد الظن، فلا بد أنك تعرفين ما إذا كنت قد ارتكبتِ جريمة أم لا.

- لا أدري في الحقيقة كيف أشرح لك، أنا أعني...

فقال بوارو بلطف: هيا اجلسي واستريحي، ثم أخبريني بكل شيء.

ولكنها هتفت بعصبية شديدة: لا، لا، لا أستطيع. لقد ظننت أنني أستشيرك في مشكلتي، ولكني لا أستطيع الآن؛ الأمر مختلف عن...

- عن ماذا؟

- أنا آسفة جداً، لا أريد حقاً أن أكون وقحة ولكن...

ثم توقفت عن الكلام وهي تتنفس بصعوبة، ونظرت إلى بوارو ثم أشاحت بوجهها عنه، وفجأة صاحت: أنت رجل عجوز جداً! لم يخبرني أحد أنك عجوز إلى هذا الحد، لا أريد أن

أكون وقحة ولكن هذه هي الحقيقة، أنت عجوز جداً، عجوز جداً، أنا آسفة.

ثم خرجت لا تلوي على شيء تاركة هيركيول بوارو فاغراً فاه بذهول.

* * *

-٢-

دق جرس الهاتف فجأة، ولكن بوارو لم يتحرك من مكانه ولم يبدُ عليه أنه سمع رنين الهاتف، واستمر الهاتف يدقّ بإصرار. تنهد بوارو وقال: آه، لا بد أن المتحدث امرأة.

ورفع السماعة قائلاً: مرحباً.

وجاءه صوت المتحدثة تسأل: هل أنت السيد بوارو؟

- نعم، أنا بوارو.

- أنا السيدة أريادني أوليفر، صوتك يبدو مختلفاً لدرجة أنني لم أميّزه في البداية.

- طاب صباحك يا سيدتي، هل أنت بخير؟

كانت السيدة أوليفر مؤلفة القصص البوليسية الذائعة الصيت صديقة حميمة لبوارو، وقالت له: أنا بخير، أعرف أن الوقت مبكّر للاتصالات الهاتفية، ولكني أريد منك معروفاً.

- أيّ معروف؟

- أنا بصدد تنظيم الاحتفال بالعيد السنوي لنادي كُتّاب الرواية البوليسية، وأريدك أن تكون ضيف الشرف في الحفل.

- متى يكون ذلك؟

- في الثالث والعشرين من الشهر القادم.

أرسل بوارو آهة عميقة وقال: واأسفاه، أنا عجوز جداً.

- عجوز جداً، ماذا تعني بالله عليك؟ أنت لست كذلك.

- هل تعتقدين ذلك حقاً؟

- نعم، سوف تكون مدهِشاً، وسوف تحكي لنا مجموعة رائعة من القصص عن الجرائم الواقعية.

- ومن يهمه أن يستمع إلى هذه القصص؟

- الجميع؛ فهُم... سيد بوارو، هل حدث شيء؟ أنت تبدو منزعجاً جداً.

- نعم يا صديقتي، أنا منزعج جداً. كرامتي... ولكن دعينا من هذا.

- يجب أن تخبرني بما أزعجك. اسمع، الأفضل أن تأتي إليّ وتُفضي إليّ بكل شيء. متى ستأتي؟ تعالَ وتناول الشاي معي هذا المساء.

- أنا لا أشرب شاياً في المساء.

- اشرب قهوة إذن.

- حسناً يا سيدتي. أنا ممتنّ لإصرارك، قد قبلت بسعادة أن أشرب كوباً من الشوكلاتة معك هذا المساء.

- حسناً، وعند ذلك سوف تخبرني بكل ما أزعجك.

* * *

-٣-

جلس بوارو يفكر لحظة ثم نهض إلى الهاتف وتناول السماعة وطلب رقماً، وعندما ردّ عليه قال: أنا هيركيول بوارو، هل أنت مشغول جداً في الوقت الحاضر يا سيد غوبي؟

- مشغول حتى قمة رأسي يا صديقي العزيز، ولكني على استعداد أن أضع نفسي تحت تصرفك. ما المهمة؟ هل هي جمع معلومات كالعادة؟

وعند ذلك أخبره بوارو بما يريد، وأصغى إليه السيد غوبي باهتمام حتى انتهى بوارو من تعليماته، ثم انتهت المكالمة، وبعد ذلك طلب بوارو صديقاً له في سكوتلانديارد، وقد هتف الصديق ساخراً بعد أن استمع إلى طلبات بوارو: هذا طلب بسيط جداً، أليس كذلك؟! تريد أن تعرف معلومات عن أي جريمة حدثت في أي مكان، ولا يمكنك تحديد الوقت ولا اسم الضحية، ولا حتى ما إذا كان رجلاً أم امرأة، ذلك يبدو كأنه مطاردة يائسة للإوز البرّي يا صديقي العزيز.

* * *

في الرابعة والربع كان هيركيول بوارو يجلس في مقعد

مريح في حجرة الاستقبال في شقة صديقته السيدة أوليفر وفي يده كوب من الشوكلاتة. قال بوارو لصديقته: ما أكرمك وأطيبك يا سيدتي العزيزة.

سألته السيدة أوليفر بعد أن فرغ من تناول الشوكلاتة وبعد أن مسح شاربَيه بعناية واضطجع إلى الخلف بسعادة بالغة: والآن أخبرني بما يزعجك.

قال بوارو: الأمر بسيط جداً، هذا الصباح جاءت فتاة تطلب مقابلتي، قالت لخادمي جورج إنها تريد مقابلتي لأنها تظن أنها ارتكبت جريمة قتل.

- ما أغرب هذا! ألم تكن متأكدة؟

- هذا بالتحديد ما أثار اهتمامي، أمرت جورج أن يسمح لها بالدخول، وعند ذلك وقفَت ثم جلسَت ثم وقفَت، حاولْت أن أشجعها كي تتكلم ولكنها صرخت فجأة بأنها غيرَت رأيها، وأنها لا تريد أن أظنها وقحة ولكنها ترى أنني عجوز جداً.

- آه! الفتيات جميعاً على هذه الشاكلة، فكل شخص فوق الخامسة والثلاثين في نظرهن إنسان على حافة القبر، هنّ عديمات الإحساس، ولا بد أنك تعرف ذلك.

- لقد جرحَت كبريائي.

- لو كنت مكانك لما اهتممت، ولو أن ذلك لا يمنع أن هذه الفتاة وقحة جداً.

- ذلك لا يهمّ؛ فالأمر لا يتعلق فقط بمشاعري، بل أنا قلق جداً.

- لو كنت مكانك لنسيت الموضوع كله.

- أنتِ لا تفهمين، أنا قلق من أجل الفتاة نفسها، لقد جاءت إليّ طالبة معونتي، ثم غيرَت رأيها عندما تصورت أنني عجوز جداً ولن أستطيع مساعدتها. هي مخطئة في تصورها طبعاً، فذلك لا يحتمل المناقشة، ولكن تبقى بعد ذلك حقيقة مؤكَّدة، وهي أن هذه الفتاة بحاجة إلى المعونة.

- لا أعتقد ذلك حقاً؛ فهؤلاء الفتيات يضخّمن الأمور.

- لا، أنا واثق أنها بحاجة إلى المعونة.

- هل تعتقد حقاً أنها حقاً ارتكبت جريمة قتل؟

- لم لا؟ هذا ما قالته على أيّ حال.

- هذا صحيح، ولكن ماذا كانت تعني بقولها هذا بالله عليك؟!

- كلامها لا معنى له.

- من الذي قتلَته؟ أو من الذي اعتقدت أنها قتلَته؟

فهز بوارو كتفيه ولم يجِب، ثم تابعت قائلةً: ولماذا قتلَت هذا الذي تعتقد أنها قتلَته؟

ومرة أخرى هز بوارو كتفيه ولم يجِب، وعند ذلك بدأ خيال السيدة أوليفر يتألق فقالت بحماسة وكأنما قد هبط عليها الوحي: هناك طبعاً عشرات الاحتمالات، لعلها صدمت إنساناً بسيارتها فقتلَته، لعل رجلاً هاجمها وهي على قمة جبل ولكنها قاومته وألقت به إلى الهاوية، ولعلها أعطت مريضاً دواءً تسبب

في موته بطريق الخطأ، لعلها...

وتوقفت السيدة أوليفر من تلقاء نفسها فجأة عندما شعرت أنها في حاجة إلى المزيد من التفصيلات ثم قالت: ما شكل هذه الفتاة؟

- مثل أوفيليا بطلة مسرحية هاملت، ولكنها عديمة الجاذبية.

- أوه، أكاد أراها أمامي الآن. ما أغرب هذا!

- لقد بدت فتاة عاجزة، فتاة لا تستطيع أن تحلّ مشكلاتها، فتاة لا تستطيع أن تتوقع الأخطار التي قد تتعرض لها.

- أنت لم تخبرني باسمها بعد.

- هي لم تخبرني باسمها.

- ومن الذي حدّث هذه الفتاة عنك يا سيد بوارو؟

- لا أحد فيما أعتقد، فمن الطبيعيّ أنها سمعت باسمي.

فكرت السيدة أوليفر بأنه ليس من الطبيعي دائماً أن يسمع الناس جميعاً باسم هيركيول بوارو، وخاصة من الجيل الجديد، وسألت نفسها كيف تخبره بهذه الحقيقة دون أن تجرح مشاعره، وأخيراً قالت: أعتقد أنك مخطئ يا عزيزي بوارو؛ فالفتيات والشبان أيضاً لا يعرفون الكثير عن المخبرين السريين وأضرابهم، هم في الواقع لا يهتمون بأن يعرفوا الكثير.

قال بوارو ببساطة: كل إنسان في الوجود يعرف من هيركيول بوارو.

فقالت: ولكنك تنسى أن التعليم متخلف جداً بالنسبة للجيل الجديد؛ فهم لا يعرفون أيّ شيء إلا عن المطربين والممثلين وما أشبه، فإذا احتاجوا إلى خبير (دكتور مثلاً أو مخبر سرّي أو طبيب أسنان) سألوا عنه. لا بد أن شخصاً ما أرسل هذه الفتاة إليك.

فقال بوارو بامتعاض: أنا أشك في ذلك كثيراً.

فصرخت السيدة أوليفر فجأة: أتدري من الذي أرسل هذه الفتاة إليك؟ أنا.

- أنتِ! ولماذا لم تخبريني بذلك منذ البداية؟

- لأنني لم أتذكر إلا في تلك اللحظة، لقد تذكرت أنني رأيت مؤخَّراً فتاة ينطبق عليها هذا الوصف، ثم تذكرت المناسبة كلها فجأة.

- من هي؟

- لا أعرف اسمها، ولكني أستطيع أن أسأل عنها، لقد كنت أتحدث معها عن المخبرين السريين والجرائم وما إلى ذلك، ثم ذكرت اسمك في الحديث وقصصت عليها بعض مغامراتك.

- هل أعطيتِها عنواني؟

- طبعاً لا؛ فلم أكن أعرف أنها تبحث عن مخبر سري، لقد ظننت أنه مجرد حديث عابر، ولكني ذكرت اسمك عدة مرات، ومن السهل بعد ذلك الحصول على عنوانك من دفتر...

- هل كنتما تتحدثان عن جرائم القتل؟

- لا أذكر ذلك بالتحديد، لا أذكر حتى كيف بدأنا هذا الحديث، انتظر، أعتقد أن الفتاة هي التي بدأت هذا الحديث.

- تكلمي إذن، أخبريني بكل ما تذكرينه عن هذه الفتاة.

- حسناً، لقد حدث ذلك في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، كنت ضيفة على آل لوريمر واصطحبوني إلى بعض أصدقائهم لتناول بعض الشراب، وهناك وجدنا جمعاً كبيراً ولم تَرُق لي السهرة؛ فأنا لا أشرب الكحول، ويزعجني جداً التفاف الناس حولي ومديحهم وترديدهم عن رغبتهم في مقابلتي منذ زمن بعيد، وعلى العموم أعتقد أن ذلك الحديث هو الذي جرّنا إلى الحديث عن الجرائم الواقعية، وعند ذلك تحدثت عنك وأسهبت في الحديث، وكانت هذه الفتاة واقفة تصغي باهتمام، كانت تبدو حقاً مثل أوفيليا ولكنها غير جذابة.

- مَن هؤلاء الأشخاص الذين ذهبت إليهم لتناول الشاي؟

- السيد ريستاريك، وهو مليونير يعيش في لندن، رغم أنه قضى معظم حياته في جنوب إفريقيا.

فقاطعها بوارو: هل هو متزوج؟

- نعم، وزوجته امرأة رائعة الجمال، أصغر منه بكثير وتتمتع بثروة من الشعر الذهبي الجميل، وهي زوجته الثانية، أما ابنته فقد رُزق بها من الزوجة الأولى، وكان هناك أيضاً عمّ من عائلة عريقة، أصمّ نوعاً ما، وفي ذيل اسمه طابور من الألقاب؛ فهو جنرال سابق أو قائد جوي سابق أو شيء من هذا القبيل، وهو فلكيّ أيضاً، ويحتفظ بمرقب ضخم يتدلّى من السقف،

وهذه هوايته في رأيي. وكانت هناك فتاة أجنبية أشبه بمرافقة لهذا العم، تسافر معه أينما ذهب حتى لا يحدث له مكروه.

وأخذ بوارو ينسّق هذه المعلومات في ذهنه ثم قال: المنزل إذن يخص السيد والسيدة ريستاريك، ويعيش معهما العم العجوز، هل اسم هذا العم ريستاريك أيضاً؟

- اسمه رودريك، ولست أدري ماذا بعد رودريك.

- وهناك أيضاً ابنة من الزوجة الأولى، ثم الفتاة الأجنبية مرافقة العم رودريك. هل هناك أطفال؟

- لا أعتقد ذلك، ولكني لست متأكدة، والابنة لا تعيش في المنزل، بل كانت هناك بمناسبة عطلة نهاية الأسبوع فقط، والعلاقة بينها وبين زوجة أبيها ليست على ما يرام.

- يبدو أنك تعرفين الكثير عن الأسرة.

- أنا أسمع الكثير هنا وهناك، فضلاً عن أن آل لوريمر يتحدثون كثيراً، ومن الطبيعي أن أصغى إليهم، وبذلك تتجمع لديّ المعلومات، وإن كنت أخلط فيما بينها. كم أتمنّى أن أذكر اسم هذه الفتاة، فهو اسم متعلق بأغنية، هل هو نورا؟ نعم، نورما، نورما ريستاريك، نعم، أنا متأكدة الآن، اسم الفتاة هو نورما ريستاريك، وهي فتاة ثالثة على فكرة.

- فتاة ثالثة! ماذا تعنين بالله عليك؟!

- ألا تعرف حقاً معنى فتاة ثالثة؟ ألا تقرأ جريدة التايمز؟

- أرى أنها جريدة ممتعة.

صاحت: بل أعني صفحة الإعلانات، صبراً، سأريك.

وفي خفة لا تتناسب مع حجمها قفزت إلى خزانة قريبة فتحتها بسرعة وأخرجت منها نسخة من جريدة التايمز وفتحتها وقالت: هذا ما أعني، اقرأ.

وقرأ بوارو: "مطلوب فتاة لشقة مريحة في الدور الثاني، حجرة خاصة، تدفئة مركزية"، ثم قرأ: "مطلوب فتاة ثالثة لتشارك في شقة مقابل خمسة جنيهات في الأسبوع، حجرة خاصة".

أخذت السيدة أوليفر تشرح لبوارو ما غاب عنه قائلة: يحدث أن تستأجر فتاة شقة، ثم تشرك صديقة معها في السكن والإيجار، ثم تكتشف الاثنتان أن الإيجار أكبر من قدرتهما المالية فتبحثان عن فتاة ثالثة عن طريق الإعلانات، وتتقاسم الفتيات الثلاث الشقة، وهكذا.

قال بوارو: وفي أي ناحية في لندن تعيش هذه الفتاة؟

- لا أدري، فأنا لا أعرف أي شيء، ولكني أستطيع أن أعرف كل ما تريد معرفته.

- هل أنت واثقة أن الحديث بينكما لم يتضمّن ذكر أيّ وفاة مفاجئة؟

- هل تقصد في لندن أم في منزل آل ريستاريك؟

- في أيهما.

- لا أظن، هل تريد أن أنقّب لك؟

- هذا سيكون كرماً منك.

- حسناً، سوف أطلب آل لوريمر بالهاتف.

ثم نهضت واتجهت إلى الهاتف وهي تستطرد قائلة: سوف أُضطر إلى اختراع قصة مناسبة تبرر أسئلتي.

ثم أدارت الرقم وهمست لبوارو: هل معك ورقة وقلم لكي تكتب الأسماء والعناوين؟

فأخرج بوارو من جيبه ورقة وقلماً في حين هتفت السيدة أوليفر: مرحباً، هل أستطيع أن أتحدث إلى... آه، هذه أنت يا عزيزتي نعومي، أنا السيدة أوليفر، نعم، لقد كان حشداً كبيراً، هل تقصدين الرجل العجوز؟ لقد ظننت أنه كان ذاهباً إلى لندن في صحبة مرافِقته؟ لا، أنت تعرفين أنني لا أحب ذلك، أعني الأجنبية. نعم، لا بد أن الأمر مزعج بالنسبة لها أحياناً، ولكن يبدو أنها تعرف كيف تتعامل معه.

لقد كنت أودّ أن أسألك عن عنوان تلك الفتاة، ابنة ريستاريك، هي في ضاحية ساوث كيك، أليس كذلك؟ لقد وعدتها بأن أرسل لها كتاباً من كتبي وكتبت عنوانها في ورقة، ولكنها ضاعت كالعادة، أنا حتى لست واثقة من اسمها، هل هي نورما أم نورا؟ نعم، لقد ظننت أنه نورما، ما العنوان؟ ٧٦ ضاحية بورودين، نعم، نعم، أعرف ذلك البناء الضخم الذي يشبه مبنى السجن، نعم، أعتقد أن الشقق التي فيه مريحة وفيها تدفئة مركزية.

ثم استطردت قائلة: مع من تعيش نورما؟ مع صديقات لها أم عن طريق الإعلانات؟ الأولى اسمها كلوديا هولاند، ومن الأخرى؟ آه، أنت طبعاً لا تعرفين، بماذا تشتغل تلك الفتيات؟ أعتقد أن ثلاثتهم سكرتيرات، أليس كذلك؟ ماذا؟ واحدة منهن

تشتغل بالديكور أو في معرض فنّي، أنا طبعاً لا أريد أن أعرف كل شيء عنهن، أنا أتساءل فقط بماذا تشتغل الفتيات عموماً في هذه الأيام؛ ذلك يفيدني في كتابة رواياتي كما تعرفين.

وتوقفت عن الكلام برهة ثم قالت: ماذا تقولين عن ذلك الشاب؟ نعم، ولكنه شاب فاشل، أليس كذلك؟ أقصد أن الفتيات اليوم يتصرفن كما يحلو لهنّ تماماً، هل هو دميم الوجه؟ آه، ذلك النوع، سترة ضيقة وشعر كستنائي مسترسل على كتفيه، من الصعب أن يميز الإنسان بين الشاب والفتاة هذه الأيام. ماذا قلت؟ والد نورما يكره ذلك الشاب؟ وزوجة الأب تكرهه أيضاً؟ حسناً، لا يُنتظر من زوجة الأب أن تحب صديق ابنة زوجها ولا ابنة زوجها، أعتقد أنها سعيدة؛ فالفتاة بعيدة عنها في لندن.

ثم قالت وقد امتعض وجهها: ماذا تعنين بالإشاعات والتقوّلات؟ لماذا لا يحاولون معرفة علّتها؟ من قال ذلك؟ نعم، ولكن ما الذي يخشونه؟ تقولين إن الأطباء لم يستطيعوا معرفة... نعم، ولكن الناس أحياناً على درجة كبيرة من سوء الخلق. أنا أوافقك تماماً؛ ففي العادة لا أساس لهذه الإشاعات. هل تعنين أن الناس قالوا إن القتل سهل جداً نظراً لكل هذه الأعشاب السامة؟ نعم، ولكن لماذا؟ أقصد أنها ليست زوجة عجوز مكروهة، هي الزوجة الثانية، وهي شابة جميلة، وأصغر منه بكثير، ربما، قد تكونين على حق، ولكن ما دخل تلك المراهِقة الأجنبية؟ لعل الزوج أحس بعاطفة جامحة نحوها مما أزعج زوجته وتسبب في أن تحاول...

وكان بوارو يشير إلى السيدة أوليفر أن تتوقف عن الكلام

فقالت لصديقتها: معذرة يا عزيزتي، أعتقد أن الباب يدقّ، انتظريني لحظة.

ثم وضعت السماعة وأسرعت إلى بوارو، وهمست له: ماذا تريد؟

قال بوارو: حاولي أن ترتبي سبباً لزيارة منزل آل ريستاريك، اخترعي أيّ سبب.

فعادت السيدة أوليفر إلى الهاتف وتناولت السماعة: مرحباً، نعومي، فيم كنا نتحدث؟ لماذا يحدث شيء دائماً عندما نكون بصدد تبادل الإشاعات والتقوّلات؟ لقد نسيت حتى لماذا طلبتك بالهاتف، آه، كان من أجل عنوان تلك الفتاة نورما، ولكن هناك شيء آخر، هناك صديق قديم لي، رجل مدهش هو هيركيول بوارو، يرغب في لقاء رودريك العجوز؛ فهو يعرف الكثير عن السيد رودريك ويُعجب به كثيراً، ويرجو أن تُتاح له الفرصة لكي يقدّم له احتراماته، هل من الممكن ترتيب ذلك؟ هل أعتمد عليك في إبلاغ آل ريستاريك؟

وصمتت برهة ثم قالت: لا أدري متى سيزورهم، ولكنه قد يهبط من السماء في أيّة لحظة، فهو شخص ممتع جداً وسوف يخبرهم بقصص مثيرة عن الجرائم والجاسوسية، حسناً يا عزيزتي، إلى اللقاء.

ووضعت السيدة أوليفر السماعة وهي تلهث ونظرت إلى بوارو وقالت: ما رأيك؟

قال بوارو: مدهشة، خيالك رائع.

قالت: لقد أردت أن أربط بينك وبين السيد رودريك

العجوز، وعند ذلك سوف تُتاح لك الفرصة لترى كل ما تريد رؤيته، وسوف تستطيع بالطبع أن توهمه بتعلقك بالفلك والعلم وما إلى ذلك. والآن هل تريد أن تعرف بماذا أخبرَتني نعومي لوريمر؟

- لقد أخبرتك أن هناك شكوكاً حول صحة السيدة ريستاريك، أليس كذلك؟

- بلى، يبدو أنها كانت مصابة بمرض غامض حار الأطباء فيه، لقد أرسلوها إلى المستشفى فتماثلت للشفاء دون أن يعرف أحد سبب مرضها ولا سبب شفائها، وبعد أن عادت إلى البيت عاودها المرض من جديد ومرة أخرى حار الأطباء، وعند ذلك بدأ الناس يتقوّلون، وبدأت إشاعات مغرضة حمقاء، وتطوعت شقيقتها بنقل التقوّلات إلى جارة لها، وهذه الجارة تعمل في عدة بيوت فنقلت إلى هذه البيوت كل ما سمعته، وعند ذلك سرت إشاعة تقول إن زوج السيدة ريستاريك هو الذي يحاول أن يدس السم لها، رغم أن ذلك لا يبدو معقولاً؛ فالزوج هو العجوز والزوجة هي الشابة، والمفروض أن يحدث العكس، ثم فكر الناس في الفتاة الأجنبية مرافِقة السيد رودريك وسكرتيرته، ولو أنه لا سبب على الإطلاق يدعو هذه الفتاة لأن تدسّ السم للسيدة ريستاريك.

فقال بوارو مفكراً: هذه جريمة قتل مرغوب فيها، ولكنها لم تتم بعد.

* * *

– ٤ –

قادت السيدة أوليفر سيارتها إلى فناء ذلك المنزل الضخم في ضاحية بورودين. كان الوقت هو وقت عودة الناس من أعمالهم وحركة الدخول والخروج إلى المنزل على قدم وساق. نظرت السيدة أوليفر إلى ساعة معصمها فوجدتها السابعة إلا عشر دقائق، ورأت أنه الوقت المناسب الذي تعود فيه الفتيات العاملات إلى منازلهن ليجدّدن زينتهن أو للتخلص من ملابس العمل إلى ملابس السهرة.

كانت السيدة أوليفر تقصد الشقة رقم ٦٧ ، وعندما غادرت المصعد في الطابق السادس وجدت نفسها في ردهة ضيقة طويلة، سارت فيها حتى وصلت إلى الباب رقم ٦٧ ثم وضعت يدها على الجرس، وفي الحال سقط رقم ٧ المعدني عن الحائط فتنهدت السيدة أوليفر وقالت: هذا الباب لا يحبني.

ثم انحنت والتقطت الرقم الساقط وأعادته إلى مكانه وضغطت الجرس، وفي الحال فتحت البابَ فتاةٌ مديدة القامة ترتدي ثوباً أنيقاً من الحرير الأبيض الفاخر. قالت الفتاة: هل من خدمة؟

قالت السيدة أوليفر: هل الآنسة ريستاريك موجودة؟

فأجابت الفتاة: لقد خرجت تواً، أترغبين في أن تتركي لها رسالة؟

قالت السيدة أوليفر بأسف مفتعَل: آه، لقد أحضرت لها كتاباً من رواياتي كنت قد وعدتها بإحضاره لها، ألن تعود سريعاً؟

- لا أدري حقاً؛ فأنا لا أعلم أين ذهبت الليلة؟

- هل أنت الآنسة هولاند؟

فبدت على الفتاة دهشة خفيفة وقالت: نعم.

- لقد قابلت والدك، أنا السيدة أوليفر كاتبة الروايات البوليسية.

- تفضلي إذن بالدخول.

فسارت السيدة أوليفر خلف الفتاة إلى حجرة الاستقبال، وبعد أن جلستا قالت الفتاة: أنا واثقة أن نورما سوف يسعدها كثيراً أن تحصل على كتابك يا سيدة أوليفر. هل أقدم لك شاياً أم قهوة؟

ولاحظت السيدة أوليفر أن الفتاة تتكلم بطريقة السكرتيرات النموذجيات، فرفضت الضيافة شاكرة ثم قالت: إقامتكن في دَور عال كهذا تمنحكن الفرصة للتمتع بمناظر رائعة من النوافذ.

فابتسمت الفتاة وأجابت: هذا شيء ممتع حقاً، ولكنه لا يكون ممتعاً عندما يتعطّل المصعد.

وفي تلك اللحظة دخلت فتاة تقول: كلوديا، هل تعرفين أين تركت الـ...

ثم توقفت عن الكلام عندما رأت السيدة أوليفر فقالت كلوديا هولاند تقدم الاثنتين كلاً منهما إلى الأخرى: الآنسة فرانسيس كاري، السيدة أوليفر الكاتبة الشهيرة.

فصاحت فرانسيس: يا لها من مفاجأة!

كانت فتاة طويلة ذات شعر أسود طويل ووجه ممتقع رغم المساحيق الكثيفة التي تغطيه ورغم الرموش الاصطناعية، وكانت ترتدي بنطالاً من القطيفة وبلوزة. قالت السيدة أوليفر: لقد أحضرت كتاباً من أجل صديقتي نورما ريستاريك.

فهتفت فرانسيس: آه، من المؤسف أنها لم تعُد بعد من منزل أسرتها في الريف.

- لم تعُد بعد!

ومرت لحظة صمت مفاجئ وتبادلت الفتاتان نظرة مختلَسة، فقالت السيدة أوليفر وهي تتظاهر بأنها لم تلحظ شيئاً: كنت أظن أن نورما موظفة في مكان ما في لندن وأنها لذلك يجب أن تعود منذ يوم الإثنين.

قالت كلوديا: نعم، إنها تعمل في شركة للديكورات.

ثم ابتسمت وأضافت: نحن نسكن معاً ولكن كلاً منّا تحيا حياة مستقلة تماماً؛ فكل واحدة تخرج وتعود متى يحلو لها، ولكني لن أنسى أن أسلّم كتابك إلى نورما عندما تعود.

فنهضت السيدة أوليفر وقالت: حسناً، أشكرك كثيراً.

ثم سارت خلف كلوديا إلى الباب الخارجي، وهناك

قالت كلوديا: سوف أخبر والدي أنني قابلتك؛ فهو من عشاق الروايات البوليسية.

ثم أغلقت خلفها الباب وعادت إلى حجرة الاستقبال فقالت فرانسيس: أنا آسفة يا كلوديا، هل أخطأت في حديثي؟

فقالت كلوديا: لقد أخبرت هذه المرأة أن نورما خرجت لتوّها.

فهزت فرانسيس كتفيها وقالت: لم أكن أعلم ذلك، وعلى أية حال أين نورما؟ لماذا لم تعد يوم الإثنين؟ أين اختفت؟ هل بقيت في منزل أسرتها؟

- لا، لقد سألتهم عنها هاتفياً.

قالت فرانسيس: الأمر لا يهم على أية حال، ولو أن هذه الفتاة تبدو شاذة أحياناً.

قالت كلوديا ببرود: ليست أكثر شذوذاً من غيرها.

- بل هي فتاة غريبة الأطوار؛ فهي تختفي أحياناً، وليست طبيعية.

* * *

– ٥ –

سار هيركيول بوارو ببطء في الشارع الرئيسي في قرية لونت بيزنغ، وكانت القرية مثل معظم القرى تتصف بالطول دون العرض، وكانت فيها كنيسة كبيرة ذات حديقة مليئة بالأشجار العتيقة. واصل بوارو سيره حتى عبر القرية، ووصل إلى الحقول والطريق الزراعي، ولمح على البعد منزل آل ريستاريك. وصل إلى المنزل ثم وقف أمام البوابة يتفحّص المنزل.

كان منزلاً هادئاً يعود تاريخ إنشائه إلى بداية القرن العشرين، وله حديقة أجمل منه بكثير، وكان من الواضح أنها لقيت عناية كبيرة في وقت ما، ورأى بوارو امرأة منحنية فوق حوض من الزهور وفي يدها مقصّ. كانت امرأة طويلة رشيقة ذات شعر ذهبي. فتح بوارو البوابة وسار إلى الداخل، وعند ذلك سمعت المرأة وقع خطواته فانتصبت واستدارت إليه تنظر إليه بحيرة منتظرة منه أن يتكلم، وأخيراً سألته: ماذا تريد؟

وفي الحال خلع بوارو قبعته وانحنى أمامها بحركة مبالَغ فيها وقال: هل لي شرف التحدث إلى السيدة ريستاريك؟

أجابت وهي تكتم ابتسامة: نعم، أنا...

فقاطعها قائلاً: أرجو ألاّ أكون قد تسببت في إزعاجك.

- لا، لم تزعجني، من أنت؟

- لقد سمحت لنفسي بأن أتطفّل عليكم، صديقتي السيدة أوليفر كانت قد...

وعند ذلك بدت علامات الفهم على وجه السيدة ريستاريك فقالت: آه، لقد عرفت من أنت، أنت السيد هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي، لقد وجدت نفسي قريباً من منزلكم فسمحت لنفسي بزيارتكم دون موعد سابق آملاً أن أتشرف بتقديم احتراماتي إلى السيد رودريك هورسفيلد.

- نعم، لقد أخبرَتني صديقتي نعومي لوريمر أنك سوف تزورنا.

- أرجو ألاّ أكون متطفلاً.

- بالطبع لست متطفلاً على الإطلاق يا سيد بوارو، لقد كانت السيدة أوليفر عندنا في الأسبوع الماضي مع عائلة لوريمر، وهي تكتب روايات ممتعة، أليس كذلك؟ ولكن لعلك لا تُعجب كثيراً بالروايات البوليسية أو لا تجد فيها ما يثير دهشتك؛ فأنت مخبر سري حقيقي، أليس كذلك؟

- بلى، أنا مخبر سري حقيقي بكل ما تحمله كلمة حقيقي من معنى.

ولاحظ بوارو أنها كتمت ابتسامة، ولم يسعه إلا الاعتراف بأنها أنيقة، ولكن في شيء من الافتعال، وكان شعرها الذهبي

مصفَّفاً على أحدث شكل. قال لها: لديك حديقة غاية في الجمال.

- هل تحب الحدائق؟

- ليس كما يحبها الإنكليز؛ فالإنكليز يتمتعون بموهبة حب الحدائق، وذلك يعني لكم ما لا يعني لنا.

- هل تقصد بالنسبة للفرنسيين؟

- أنا لست فرنسياً، أنا بلجيكي.

- نعم، نعم، أعتقد أنني سمعت السيدة أوليفر تقول إنك كنت تعمل سابقاً مع الشرطة البلجيكية.

- أجل، أنا كلب بوليسي بلجيكي قديم.

ثم ضحك ولوح بيديه مضيفاً: ولكنني أُعجَب جداً بحدائقكم أيها الإنكليز.

- تفضل بالدخول، لقد حضرتَ لتقابل العم رودريك، أليس كذلك؟

قال وهما يسيران معاً: لقد حضرتُ لأقدّم احتراماتي إلى السيد رودريك، ولكي أقدّم احتراماتي إليك أيضاً يا سيدتي؛ فأنا أقدم الاحترام للجمال أينما رأيته.

ثم أحنى قامته فضحكت المرأة بشيء من الحرج وقالت: لا يجب أن تجاملني كثيراً هكذا.

ثم تقدمته خلال باب يؤدي إلى داخل المنزل في حين قال بوارو: لقد عرفت السيد رودريك خلال الحرب.

- العزيز المسكين، لقد تقدّم في السن، وهو أصمّ الآن بكل أسف.

- لعله نسي لقاءنا السابق، لقد كان معلَّقاً بشبكة جاسوسية، وكان له الفضل الأكبر في الكشف عنها. أعتقد أنه راغب في لقائي.

- أنا واثقة أنه سوف يسعد بلقائك؛ فهو يعيش حياة مملّة في هذه الأيام، خاصة ونحن نقضي أوقاتاً كثيرة في لندن للبحث عن منزل مناسب.

ثم تنهدت وقالت: كبار السن يكونون أحياناً مرهقين.

- أجل، أعلم ذلك، وأنا نفسي مرهق أيضاً غالباً.

ولكنها ضحكت وقالت: لا يا سيد بوارو، لا يجب أن تتظاهر بأنك عجوز.

فتنهد بوارو وقال: أحياناً يواجهني الناس بذلك.

ثم أضاف بحزن شديد: الفتيات الصغيرات بصفة خاصة.

- ذلك قول قاسٍ جداً، وهو أيضاً ما تقوله ابنتنا.

- هل لك ابنة؟

- نعم، أو على الأصح ابنة زوجي.

- سوف يسعدني كثيراً أن أقابلها.

- ولكنها ليست معنا هنا للأسف؛ فهي في لندن حيث تعمل.

- معظم الفتيات يعملن في وظائف في هذه الأيام. هل

عدت إلى العمل بعد الزواج يا سيدتي؟

- لا، لقد نشأت في جنوب إفريقيا، وحضرت إلى إنكلترا حديثاً مع زوجي، والحقيقة أن كل شيء هنا يبدو لي غريباً نوعاً ما.

ثم أجالت حولها نظرة خالية من الحماسة، ونظر بوارو أيضاً فرأى أثاث الحجرة أنيقاً مريحاً ولكن دون طابع شخصيّ، باستثناء لوحتين كبيرتين على الحائط كانتا هما اللمسة الشخصية الوحيدة في الحجرة. كانت اللوحة الأولى تمثل امرأة ذات شفتين نحيلتين في ثوب سهرة من القطيفة الرمادية اللون، واللوحة الثانية المقابلة لها تمثل رجلاً في الثلاثين من عمره تبدو عليه الحيوية الدافئة. قال بوارو: أعتقد أن ابنة زوجك تجد الحياة مملة في الريف.

- أجل، هي أحسن حالاً كثيراً في لندن؛ وهي لا تحب الحياة هنا.

ثم أضافت وكأنما تتكلم رغماً عنها: هي لا تحبني أيضاً.

- مستحيل!

- ليس مستحيلاً، أعتقد أن ذلك يحدث دائماً؛ فمن الصعب دائماً على الفتاة أن تحب زوجة أبيها.

- هل ابنة زوجك متعلقة بذكرى أمها كثيراً؟

- أعتقد أنها كانت تحبها كثيراً، وهي فتاة صعبة المراس. معظم الفتيات كذلك فيما أعتقد.

- على العموم إن الآباء والأمهات يصعب عليهم أن

يتحكموا في بناتهم في هذه الأيام؛ فلم يعد الحال كما كان في الأيام الخالية.

- أجل، لم يعد كذلك.

- لا يجرؤ المرء على أن يقول ذلك، ولكن يجب أن أعترف أن فتيات هذه الأيام يخطئن كثيراً في اختيار أصدقائهن من الشبان.

- بالتأكيد، لقد سببت نورما متاعب كثيرة لوالدها من هذه الناحية، على أية حال لا جدوى من الشكوى، فعلى كل إنسان أن يجرب الحياة بنفسه، ولكن هيا دعني أصحبك إلى العم رودي، فهو يقيم في الدور العلوي.

قادته بعد ذلك خارج الحجرة، ونظر بوارو مرة أخرى إلى الحجرة قبل أن يغادرها. حجرة مملة لا طابع لها فيما عدا اللوحتين، واستنتج بوارو من ثياب المرأة التي في اللوحة أن اللوحات تعود إلى زمن بعيد، وفكر أنه إذا كانت هذه المرأة هي زوجة السيد ريستاريك الأولى فمن الصعب على أيّ إنسان أن يحبها. قال بوارو: هاتان لوحتان جميلتان يا سيدة ريستاريك.

- أجل، لقد رسمهما الفنان لانسبرغر.

وتذكر بوارو اسم ذلك الفنان الذي كان نجماً لامعاً في سماء الفن التشكيلي منذ عشرين عاماً، وتذكر أيضاً أن طريقته في الرسم أصبحت أسلوباً قديماً وأن اسمه قد ابتلعه النسيان. قالت السيدة ريستاريك وهما يصعدان الدرَج: لقد أخرجنا اللوحتين من المخزن ونظفناهما و...

ثم توقفت بغتة عن الكلام ويدها على السياج وأخذت تنظر إلى أعلا الدرَج بذهول، ونظر بوارو فرأى مخلوقاً غريباً يهبط الدرَج، ولكن ذلك المخلوق لم يكن غريباً على بوارو؛ لقد رأى كثيراً مثله في شوارع لندن في السنوات الأخيرة، كان ذلك المخلوق يمثل شباب اليوم. كان شعره يتدلّى في خصلات ثائرة على كتفيه، ويرتدي معطفاً أسود وصديرياً من القطيفة الخضراء وبنطالاً ضيّقاً، كان يبدو كالمجانين ولكنه كان يبدو جميلاً، وكان من الصعب تحديد جنسه إن كان ذكراً أم أنثى إلاّ بعد لحظات من التأمل. صاحت السيدة ريستاريك تخاطب ذلك المخلوق: دافيد، ماذا تفعل هنا؟

أجاب الشاب بغير مبالاة: هل أفزعتك؟

- ماذا تفعل هنا في هذا المنزل؟ هل جاءت نورما معك؟

- نورما؟ لا، لقد جئت أبحث عنها.

فقالت المرأة بدهشة: تبحث عنها هنا؟! ولكنها في لندن.

- لا يا عزيزتي، ليست في لندن، على الأقلّ هي ليست في الشقة رقم ٦٧ بمنزل ضاحية بورودين.

- ماذا تعني بأنها ليست هناك؟

- لقد انتظرت عودتها بعد نهاية الأسبوع، وعندما لم تعُد ظننت أنها ما زالت عندكم، فجئت لأرى ما الذي أخّرها.

قالت السيدة ريستاريك بغضب: لقد غادرت المنزل يوم الأحد ليلاً كالعادة، وأنت، لماذا لا تخاطبنا هاتفياً بأنك قادم

إلى هنا؟ كيف تجرؤ على أن تتسلل إلى المنزل وتجوس فيه على هذا النحو؟

فضحك دافيد وقال: من يسمعك تتكلمين هكذا يعتقد أنني جئت لأسرق الملاعق والسكاكين، أليس من الطبيعي أن يدخل الإنسان أيّ منزل في وضح النهار؟

فقالت ببرود: نحن طراز قديم ولا نحب هذا التسيّب.

فتنهد دافيد وقال: يبدو أنك لن ترحبي بقدومي ولا تعرفين مكان ابنة زوجك، ولذلك سأنصرف. هل تحبين أن أقلب لك جيوبي قبل أن أخرج؟

- لا تكن سخيفاً.

- إلى اللقاء.

ثم لوح بيديه بفتور وهبط الدرَج وعبر الصالة وخرج من المنزل فقالت السيدة ريستاريك باستياء شديد: يا له من مخلوق بشع! أنا لا أُطيق مجرد رؤيته. ما الذي حدث للدنيا وجعل لندن تمتلئ بأمثاله في هذه الأيام؟

فقال بوارو: تمالكي نفسك يا سيدتي، هذه مسألة موضة، وهي لا تجد مكاناً في الريف بقدر ما تجد في لندن.

- كيف يجرؤ على دخول المنزل هكذا؟! لو علم زوجي فسيثور؛ فهو يكره ذلك المخلوق جداً. ما أكثر ما تسببه البنات من إزعاج! وبالرغم من أنها لم تعِش معه كثيراً، بل عاشت طفولتها كلها مع أمها، إلا أن زوجي يحب ابنته كثيراً، والآن لا يدري كيف يتصرف معها، وأنا أيضاً أجدها فتاة غريبة الأطوار؛

لا أحد يستطيع أن يسوسها، وهي مهووسة بذلك الشاب الفظيع دافيد بيكر، وليس في إمكاننا أن نفعل شيئاً. لقد منعه زوجي من دخول المنزل ومع ذلك فها هو يدخل المنزل بمنتهى البرود.

ثم استطردت وقالت: أعتقد أنني لن أخبر زوجي أندرو بقدوم ذلك الشاب؛ فأنا لا أريد أن أسبب له إزعاجاً هو في غنىً عنه، أما عن الفتاة فلا شك أنها تمرح مع مخلوق بشع آخر في لندن، واحد من هؤلاء الشبان الذين لا يستحمون أبداً ولا يبدّلون ثيابهم أبداً.

ثم ضحكت وقالت: لا أدري لِم أخبرك بكل هذا؟ ولكن على العموم جميع الأسر لها مشكلات، وما أصعب الأمر على زوجات الآباء! ها قد وصلنا.

ثم طرقت باباً، وفي الحال جاءت من الداخل زمجرة عالية: ادخل، ادخل.

ففتحت السيدة ريستاريك الباب ودخلت وتبعها بوارو ثم قالت: هنا ضيف يرغب في لقائك يا عمّاه.

ووجد بوارو أمامه عملاقاً عريض المنكبين مربع الوجه أحمر الخدَّين حادّ النظرات يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ووجد فتاة تجلس إلى المنضدة وأمامها مجموعة من الخطابات. قالت السيدة ريستاريك: هذا هو هيركيول يا عمي.

تقدم بوارو نحو السيد رودريك ثم أحنى رأسه وقال: سيد رودريك، لقد مضت سنوات طويلة جداً، منذ رأيتك، ذلك يعود إلى الحرب العالمية، وكان ذلك في نورماندي على ما أذكر، أتذكّر أيضاً أنه كان معنا الكولونيل ريس والجنرال

أبركرومبي والسيد إدموند كولنجسيي. ما كان أخطر القرارات التي كان علينا أن نتخذها! هل تذكر الكابتن هندرسون؟

فقال السيد رودريك: أذكره جيداً ذلك الخنزير.

- لعلك لا تذكرني، أنا هيركيول بوارو.

- أذكرك طبعاً، أذكرك جيداً، لقد كنتَ مندوب المخابرات الفرنسية، أليس كذلك؟ كان لك زميل لا أذكر اسمه، اقعد، تفضل، ليس هناك ما هو أفضل من استعادة الأيام القديمة.

قعد بوارو وقال: لقد كنت أخشى ألاّ تتذكرني أو تتذكر زميلي السيد جيرود.

- بل أذكركما جيداً. لقد كانت أيامنا رائعة، يا لها من أيام! دعني أقدمك إلى سكرتيرتي سونيا التي تساعدني في تنسيق عملي، ولا أدري ماذا أفعل دونها.

فقالت سونيا بحياء: أنا لست ممتازة إلى هذا الحد؛ فأنا لا أكتب على الآلة بسرعة.

قال السيد رودريك: بل تكتبين سريعاً وجيداً، أنت ذاكرتي الحيّة، أنت عيناي وأذناي وأشياء كثيرة أخرى.

فابتسمت له سونيا وغمغم بوارو: أتذكّر بعض الأقاويل التي كانت تدور في تلك الأيام، وإن كنت لا أدري مدى صحتها، على سبيل المثال ذلك اليوم الذي سرق فيه شخص سيارتك...

ثم تابع بوارو قصة من خياله فقهقه السيد رودريك وقال: أنا أذكر ذلك جيداً، ولو أن ما تحكيه فيه شيء من المبالغة،

أجل، أجل، ما أقوى ذاكرتك! ولكني أستطيع أن أذكر لك قصة أكثر طرافة.

ثم حكى السيد رودريك قصة مملة صفّق لها بوارو طرباً، وفي النهاية نظر إلى ساعته ثم نهض قائلاً: لقد أخذت من وقتك الكثير يا سيد رودريك. أنت مشغول في أعمال هامة، ولم يدفعني إلى زيارتك إلا وجودي بالقرب منك، ويسعدني الآن أن أرى أن السنين لم تُفقدك شيئاً من حيويتك ومن حبك للحياة.

- حسناً، لعلك على صواب فيما تقول، على أي حال لا ينبغي أن تجاملني كثيراً، ولكن يجب أن تبقى وتتناول الشاي معنا، أنا واثق أن ماري سوف تقدم لك قدحاً من الشاي.

ثم نظر حوله وقال: آه! لقد ذهبت، إنها فتاة لطيفة.

فقال بوارو: نعم، وجميلة أيضاً، أعتقد أنها كانت عزاءً لك في السنوات الماضية.

- لقد تزوجَت من ابن أختي أندرو حديثاً، فهي زوجته الثانية. فلأكُن صريحاً معك، أنا لم أهتم قطّ بابن أختي أندرو؛ فهو ليس جادّاً ودائم القلق، لقد كان أخوه الأكبر سيمون أفضل منه، ولو أنني لم أعرفه كثيراً أيضاً. أما عن أندرو فقد تصرّف بنذالة حيال زوجته الأولى؛ هجرها وتركها دون أن يهتمّ بها، ولم يستمرّ زواجهما أكثر من عام أو اثنين. يا له من رجل أحمق! أما زوجته الثانية ماري فهي امرأة معقولة ولا عيب فيها فيما أعلم سوى أنها تضع شعراً مستعاراً؛ لقد سقط شعرها في حادث عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، ذلك شيء مؤلم بالنسبة

لفتاة، ولم أكُن أعرف أنها تضع شعراً مستعاراً حتى حدث يوماً أن اشتبك غصنٌ بشعرها فأطاره. أما سيمون فقد كان شاباً جادّاً ولو أنه كان ثقيل الظل.

ثم توقف السيد رودريك عن الكلام وهو لا يدري ماذا يقول فقال بوارو: أعتقد أن أندرو أنجب ابنته من زوجته الأولى.

فهتف السيد رودريك: نورما، إنها فتاة حمقاء؛ فهي تلبس ثياباً غريبة وتصاحب شاباً معتوهاً. على أية حال هذا هو حال الجيل الجديد.

نظر السيد رودي إلى المصباح وقال: لعل نورما تشاجرت... على أية حال لا أحد يهتم بالانتقادات التي يقولها رجل عجوز مثلي، حتى ماري التي كنت أتصور دائماً أنها فتاة عاقلة أجدها أحياناً في حالة هستيريا بسبب صحتها، تتكلم دائماً عن ذهابها إلى المستشفى لإجراء تحاليل وما أشبه. هل لك في كوب من الشاي؟ لا، ألا تريد حقاً أن تبقى وتتناول معنا الشاي؟

- شكراً لك؛ أنا مرتبط بموعد مع أصدقاء.

- حسناً، لقد استمتعت كثيراً بالحديث معك؛ فمن الممتع أن يتذكر الإنسان أحداث الماضي البعيد.

ثم التفت إلى الفتاة وقال: عزيزتي سونيا، هلا صحبتِ السيد، ما اسمه؟ لقد نسيت الاسم، آه، بوارو، أليس كذلك؟ هلاّ صحبتِه يا عزيزتي إلى ماري؟

قال بوارو بسرعة: لا، لا، لست أريد أن أثير من الإزعاج أكثر من ذلك، أنا أعرف طريق الخروج جيداً. إلى اللقاء يا سيد رودريك.

وهرول بوارو إلى خارج الحجرة في حين قال السيد رودريك بعد خروجه: أنا لا أعرف على الإطلاق من يكون هذا الشخص.

قالت سونيا بدهشة: ألا تذكر شيئاً عنه؟

أجاب متنهداً: أنا لا أعرف نصف الناس الذي يتحدثون معي في هذه الأيام، ولو أنني أتظاهر بأنني أعرفهم. لقد تعلمت ذلك مع الوقت، خصوصاً في الحفلات عندما يأتي شخص إليّ قائلاً: "لعلك لا تذكرني، لقد رأيتك في عام ١٩٣٩"، ويكون عليّ أن أجيب: "طبعاً أذكرك". رغم أنني لا أذكره. من المؤلم أن يكون الإنسان نصف أعمى ونصف أصمّ. أمّا عن بوارو هذا فمن المؤكد أنه كان معي في الحرب العالمية؛ فقد ذكر أسماء أشخاص أذكرهم، والقصة التي ذكرها عن السيارة المسروقة قصة حقيقية رغم أنه بالغ فيها قليلاً. على أية حال لا أعتقد أنه أدرك أنني لا أعرفه رغم أنه شابّ ذكيّ، ولكنه يبدو مهرّجاً؛ فهو يتحرك كثيراً وينحني ويرقص ويلوح بيديه مثل المجانين.

ثم تنهد وقال: والآن أين وصلنا في عملنا يا عزيزتي؟

* * *

-٦-

هبط بوارو الدرَج بهدوء وخفة ثم وقف يصيخ السمع، واطمأنّ إلى عدم وجود أحد فهبط إلى الدور السفليّ، ثم عبر الصالة ونظر من النافذة فرأى السيدة ريستاريك تعمل في حوض الزهور في الحديقة حيث رآها عند دخوله، فسار على أطراف قدميه محاذراً أن يصدر منه أيّ صوت وفتح جميع الأبواب التي في الصالة واحداً بعد الآخَر.

كان الباب الأول باب الحمّام والثاني باب خزانة الأغطية والثالث باب غرفة نوم مزدوجة، أما الرابع فباب غرفة نوم امرأة بالرغم من وجود سريرين فيها، وكانت الغرفة التالية غرفة ملحَقة أدرك بوارو أنها لا بد أن تكون غرفة أندرو ريستاريك. ثم سار بوارو إلى الناحية الأخرى من الصالة، وفتح أول باب صادفه فوجده باب غرفة نوم فردية دلّت على حالتها أنها لا تُستعمل إلاّ في إجازات نهاية الأسبوع. تُرى أهي غرفة نورما؟

تسلل بوارو إلى داخل الغرفة وفتح خزانة الملابس، فوجد بها ملابس نسائية من التي تُستعمل في الريف، ووجد في نفس الحجرة طاولة للكتابة ولكنه لم يجد شيئاً فوقها، ففتح أدراج الطاولة بهدوء فوجد بعض الخطابات القديمة والأشياء الشخصية

التافهة، ثم أغلق الأدراج ثانية وخرج من الحجرة إلى الصالة فإلى الحديقة.

وهناك حيّا السيدة ريستاريك ورفض شاكراً عرضها لتناول الشاي معتذراً بأنه يريد أن يلحق بأول قطار إلى لندن، ثم سار مسرعاً إلى القرية حيث كانت تنتظره سيارة فيها سائق خاصّ.

* * *

فتح السائق باب السيارة فدخل بوارو وجلس ثم تنهد بارتياح وقال للسائق: والآن عد بنا إلى لندن.

أدار السائق المحرك وانطلقت السيارة، ولمح بوارو من النافذة دافيد بيكر واقفاً يشير بيديه للعربات التي تمرّ به آملاً أن تصحبه إحداها، فقال بوارو للسائق بسرعة: أوقف السيارة، هناك شخص يريد أن يركب معنا.

فأطاع السائق وعاد بالسيارة إلى حيث كان يقف دافيد بيكر بتراخ. أخرج بوارو رأسه من النافذة وأشار إلى ديفيد فهُرع إلى السيارة ودخل وهو يقول: أشكرك كثيراً، لم أكن أتوقع أن تتوقف من أجلي، ولكن يُخيَّل لي أنك قد عرفتني.

فقال بوارو باسماً: ملابسك تجعل من المستحيل على الإنسان ألاّ يتعرف إليك.

- هل تعتقد ذلك حقاً؟ رباه! كم تكره السيدة ريستاريك منظري، وأنا أيضاً أكرهها ولا أحترم زوجها أيضاً؛ فرجال الأعمال الناجحون غالباً يكونون عديمي الجاذبية، أليس كذلك؟

- ذلك يتوقف على وجهات النظر المختلفة، ولكنك متعلق بالابنة فيما أعلم.

- هذه جملة ظريفة. متعلّق بالفتاة، أجل، لعلك تستطيع أن تسمّي علاقتنا هكذا، ولو أن الأمر متبادَل بيننا طبعاً، فهي متعلقة بي أيضاً.

- وأين هي الآن؟

نظر إليه دافيد بحيرة وقال: ولماذا تسأل؟

فهز بوارو كتفيه وأجاب: أحب أن أراها.

- لا أظن أنها من النوع الذي يعجبك. إنها في لندن.

- ولكنك قلت لزوجة أبيها...

فقاطعه دافيد: المرء لا يخبر زوجات الآباء بكل شيء.

- وأين هي في لندن؟

- تعمل في شركة للديكور في شارع طريق الملك في ضاحية شيلسي، ولا أذكر اسم الشركة الآن بالتحديد ولكني أعتقد أنه سوزان فيليبس.

- وأين تقيم؟ هل تعرف عنوانها؟

- نعم، ولكني لا أفهم سر اهتمامك.

- الإنسان يهتم بأشياء كثيرة.

- ماذا تعني؟

- أنا مهتمّ بالسبب الذي جعلك تأتي اليوم إلى منزل ريستاريك وتدخل خِلسة وتصعد إلى الدور العلوي سرّاً.

- أعترف بأنني دخلت من الباب الخلفي.

- عن أي شيء كنت تبحث في الدور العلوي؟

- هذا شأني. والآن أنا لا أريد أن أُسيء الأدب، ولكن ألا تجد نفسك متطفلاً على شؤون الآخرين؟

- أنا فضولي، ويهمني جداً أن أعرف الآنسة نورما.

- الآن فهمت، لقد استأجرك آل ريستاريك للبحث عنها.

- إنهم لا يعرفون حتى الآن أنها مفقودة.

- لا بد أن شخصاً ما قد استأجرك.

- أنت شخص عمليّ جداً.

- لقد وقفت في طريق سيارتك عمداً؛ فلقد ثار فضولي عندما رأيتك في منزل آل ريستاريك، وأحب أن تفهم جيداً أن نورما فتاتي أنا.

فقال بوارو بحذر: هذه هي الفكرة العامة، ولذلك يجب عليك أن تعرف مكانها الآن. هل تشاجرتما معاً.

- لم يحدث ذلك، ولكن ما الذي يدعوك إلى هذا الظن؟

- هل تركت نورما منزل أسرتها يوم الأحد ليلاً أم يوم الإثنين صباحاً؟

- هي في العادة تعود إلى لندن مساء الأحد.

- إذن فقد تركت منزل أسرتها مساء الأحد، ولكنها لم

تصل إلى شقتها في لندن حتى الآن.

- هذا ما تزعمه شريكتها في الشقة كلوديا هولاند.

- هل كانت كلوديا مندهشة أم منزعجة؟

- لا هذا ولا ذاك، فهؤلاء الفتيات لا تهمهنّ شؤون الآخرين إلى هذا الحد، ولكن نورما لم تعُد إلى شركة الديكورات، وهم غاضبون منها جداً في الشركة.

- هل أنت قلق على نورما يا سيد بيكر؟

- لا، أو على الأقل فأنا لا أفهم سبب اختفائها حتى اليوم. في أيّ يوم نحن؟ الخميس؟

- هل أنت متأكد أنكما لم تتشاجرا؟

- نحن لا نتشاجر أبداً، وعلى العموم فما شأنك أنت وكل هذا؟

- يبدو أن هناك خلافات عائلية في منزل آل ريستاريك؛ فقد سمعت أن نورما لا تحب زوجة أبيها.

- لها الحق في أن تكره زوجة أبيها، هذه المرأة عاهرة، وهي أيضاً تكره نورما.

- لقد كانت السيدة ريستاريك مريضة وذهبت إلى المستشفى، أليس كذلك؟

- لقد سمعت ذلك أيضاً، ويدهشني أنها ذهبت إلى المستشفى؛ فهي تتمتع بصحة الجياد.

- وهل تكره نورما زوجة أبيها؟

- نورما ليست طبيعية تماماً، وعلى العموم فجميع الفتيات يكرهن زوجات آبائهن.

- وهل تؤدّي هذه الكراهية دائماً إلى مرض زوجة الأب وتذهب إلى المستشفى.

فصاح دافيد: ماذا تعني بالله عليك؟!

قال بوارو ببطء: أنا أفكر في الأعشاب السامة.

- هل تلمّح إلى أن نورما تحلم بأن...

ولم يستطع دافيد إكمال الجملة فقال بوارو: الناس يتكلمون كما تعلم.

- هل تعني أن شخصاً يجرؤ على اتهام نورما بأنها حاولت أن تدسّ السم لزوجة أبيها؟! هذا تخريف.

- أوافقك على أنه شيء بعيد الاحتمال، وعلى العموم فالناس لم يقولوا ذلك صراحة.

تنهد دافيد وقال: آه، آسف، لقد أسأت فهمك، ولكن ماذا كنت تعني؟

- يجب أن تعلم يا عزيزي أن هناك إشاعات، والإشاعات دائماً ضد الزوج.

فضحك دافيد وقال: أندرو العجوز؟ ذلك سخف للغاية، ولكن ما سبب زيارتك لمنزل آل ريستاريك؟ أنت مخبر سري، أليس كذلك؟

- بلى، أنا مخبر سري.

- حسناً.

- نحن نتكلم في موضوعَين مختلفَين؛ فأنا لم أذهب إلى المنزل لأحقق في حالة تسمم، هذا سري ويجب أن تسمح لي بالاحتفاظ به؛ فالأمر سريّ جداً.

- ماذا تعني بالله عليك؟

- لقد ذهبت إلى هنالك لمقابلة السيد رودريك؛ فهو رجل يملك مجموعة ضخمة من الأسرار، صحيح أنه تقاعد عن العمل، ولكنه يعرف الكثير؛ لقد اشترك في عمليات كثيرة في الحرب الماضية، وهو يعرف أشخاصاً كثيرين، هذا ما ذهبت للقاء السيد رودريك من أجله، معلومات.

قال دافيد بدهشة حقيقية: أنت ذهبت إلى ذلك العجوز المخرّف من أجل معلومات؟! وهل أعطاها لك؟

قال بوارو: لنقُل إنني راضٍ تماماً.

حملق دافيد إلى بوارو وقال: تُرى هل ذهبت لتقابل سكرتيرته؟ هل كنت تريد معرفة الدور الذي تقوم به السكرتيرة في المنزل؟ لقد سألت نفسي كثيراً ذلك السؤال، هل تعتقد أنها حصلت على وظيفتها لمجرد الوقوف على معلومات من الرجل العجوز؟

- لا أعتقد أنه من المفيد مناقشة هذا الموضوع، فهي... ماذا أسميها؟ هي سكرتيرة ممتازة.

- بل هي مزيج من السكرتيرة والممرضة والمرافِقة. تُرى هل لاحظت مدى شغف العجوز بها؟

- هذا شغف طبيعي بالنسبة لظروفه.

- هل تعلم أن السيدة ريستاريك لا تحبها؟

- هل هذا اعتقادك؟

- شكراً لتوصيلك لي، أعتقد أنني سأنزل هنا.

- لماذا؟ نحن لم نصل بعد إلى لندن، فما تزال أمامنا سبعة أميال.

ولكن دافيد قفز من السيارة صائحاً: وداعاً يا سيد بوارو.

ثم أغلق الباب خلفه بعنف شديد.

* * *

-٧-

اتصلت السيدة أوليفر ببوارو هاتفياً وسألته: هل ذهبت إلى منزل آل ريستاريك وقابلت السيد رودريك؟ ماذا وجدت؟

قال بوارو: لا شيء.

قالت: ما أبشع هذا! هذا مملّ جداً.

قال بوارو: ليس مملاً جداً، بل من المدهش أنني لم أجد شيئاً.

- ما مثار الدهشة هنا؟ ماذا تعني؟

- أعني إما أنه لم يكُن هناك شيء، وهذا لا يتفق مع الحقائق التي نعرفها، وإما أن هناك شيئاً أُخفي ببراعة، وعلى فكرة، السيدة ريستاريك لم تكن تعلم أن نورما مفقودة.

- هل تعني أنه لا علاقة لها باختفاء الفتاة؟

- هذا ما يبدو، ولقد قابلت أيضاً دافيد بيكر صديق نورما.

- هل كان يبدو بشعاً؟

- بل كان يبدو وسيماً.

- أنا لا أحب الشبان الذين يتصفون بالوسامة.

قال بوارو ببساطة: الفتيات يحببنهم.

- أنت على حق.

- يبدو أنه لا يعرف مكان الفتاة.

- أو أنه يعرف ولا يريد أن يبوح به.

- ربما، ولكن لماذا ذهب إلى منزل آل ريستاريك؟ لقد وجدناه داخل المنزل، تسلل خفية، فلماذا؟ هل كان يبحث عن الفتاة أم كان يبحث عن شيء آخَر؟

- هل تعتقد أنه كان يبحث عن شيء ما؟

- لقد كان يبحث عن شيء داخل حجرة نورما.

- وكيف عرفت ذلك؟ هل رأيته؟

- لا، لم أرَه داخل الحجرة، ولكني وجدت قطعة من الوحل لا يمكن إلاّ أن تكون قد سقطت من حذائه داخل الحجرة، ولكن لعل نورما نفسها هي التي أرسلته ليُحضر لها شيئاً من حجرتها. هناك احتمالات كثيرة.

- والآن ما خطوتك التالية؟

- أنا في انتظار الحصول على بعض المعلومات التي طلبتها من السيد غوبي ومن سكوتلانديارد.

- ولكن ألن تفعل شيئاً؟

- ليس قبل أن تأتي اللحظة المناسبة.

- أما أنا فسوف أتحرك، سوف أفعل شيئاً.

- كوني على حذر، فما دام الأمر يتعلق بجريمة قتل فأي شيء يمكن أن يحدث.

* * *

-٨-

كان السيد غوبي رجلاً ضئيل الحجم باهت الملامح عديم الصفات، حتى ليكاد يكون غير موجود في هذه الدنيا، وكان من عادته عندما يتكلم ألاّ ينظر إلى محدّثه، وإنما ينظر إلى الأشياء التي أمامه، سواء أكانت أدوات على المكتب أو قطعاً من الأثاث.

هكذا نظر إلى إحدى قوائم المنضدة وقال وكأنما يوجه إليها الكلام: من حسن الحظ أنك زودتني بالأسماء يا سيد بوارو، وإلاّ فالأمر كان يمكن أن يستغرق وقتاً طويلاً. لقد جمعت لك الحقائق المطلوبة وبعض الشائعات أيضاً؛ فالشائعات تفيد غالباً. هل تحب أن أبدأ بالمنزل الذي في ضاحية بورودين؟

فأومأ بوارو بالموافقة فنظر غوبي إلى النافذة وقال: الفتاة الأولى في الشقة ٦٧ هي كلوديا هولاند، وسمعتها طيبة ووالدها رجل محترم وطموح واسمه يظهر في الجرائد كثيراً، وكلوديا هي ابنته الوحيدة، وهي فتاة جادة وتعمل سكرتيرة، ولا تحضر الحفلات الماجنة ولا تشرب الخمر، وليست لها انحرافات ولا نزوات. الفتاة الثانية تعمل في معرض للفن في شارع بوند، وهي فتاة مولَعة بالحفلات والسهرات وما إلى ذلك، وعملها

يقتضي منها أن تتنقل كثيراً لكي تنظم المعارض الفنية. أما الفتاة الثالثة -وهي المقصودة- فقد سكنت معهما حديثاً، والفكرة عنها مبهمة ولكنها ليست طيبة، وهناك إشاعة عن عيار ناري أُطلق ذات ليلة.

هتف بوارو: عيار ناري! هل أُصيب أحد؟

نظر السيد غوبي إلى ساعة الحائط وأجاب: لقد سمعت القصة من أحد الحمّالين في العمارة وهو لا يعتقد أن أحداً قد أُصيب، لقد قال إنه سمع صوت عيار ناريّ ذات ليلة فخرج من حجرته، وهناك رأى هذه الفتاة نورما واقفة وفي يدها المسدس وعلى وجهها علامات الذهول، وعند ذلك جاءت زميلتاها وجرّتاها، وصاحت فرانسيس: "ماذا فعلت بالله عليك؟" فنهرتها كلوديا قائلة: "اخرسي يا فرانسيس، لا تكوني حمقاء."، ثم نزعت المسدس من يد نورما ووضعته في حقيبتها ثم التفتت إلى ذلك الحمّال قائلة: "أرى أن ذلك الصوت قد أفزعك، ولكن لا تنزعج، فنحن في الواقع لم نكن نعلم أن المسدس محشوّ بالرصاص، لقد كنا نمزح."، ثم أضافت: على العموم إذا سألك أحد عن ذلك الصوت فأرجو أن تؤكد للسائل أنه لم يحدث شيء.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- جذبت نورما من ذراعها ودخل الثلاثة المصعد وصعدن إلى شقتهن، ولكن الحمّال لم يطمئن إلى ذلك التفسير، فذهب يتفقد أرضية الفناء فعثر على بقعة كبيرة من الدم، ثم نظر حوله فرأى رجلاً يجري حتى ابتلعه الظلام، فصعد إلى شقة الفتيات

وطرق الباب فخرجت له كلوديا فقال لها: "أعتقد أن العيار الناري قد أصاب شخصاً ما يا آنسة هولاند، فهناك بقعة دم في الفناء."، ولكن كلوديا صاحت:يا إلهي! ولكن لا بد أنك تعرف السبب، لا بد أن الطلق قد أصاب إحدى الحمامات، أنا آسفة لكل هذا الإزعاج حقاً." ثم أعطت الحمّال خمسة جنيهات كاملة لكي لا يفتح فمه، ولكنه فتح فمه وقال: أنا أعتقد أن ذلك العيار الناري أصاب ذلك الشاب النحيف صديق نورما، لا بد أنهما تشاجرا فأطلقت عليه الرصاص، هذا هو رأيي، ولكن ليس من شأني أن أقول شيئاً.

قال بوارو: بديع، بديع.

نظر السيد غوبي إلى حذائه وقال: ولكن لعل الحمّال كاذب في قصته كلها؛ فأنا لم أسمع هذه القصة من أحد غيره، وهناك قصة أخرى عن مجموعة من الشبان العاطلين الذين جاءوا إلى الفناء ذات ليلة وتبادلوا الطعن بالسكاكين.

قال بوارو: تفسير آخر لوجود بقعة الدم.

نظر السيد غوبي إلى المصباح وقال: لعل نورما تشاجرت مع صديقها وهددته بأن تطلق عليه الرصاص، ولعل الحمّال سمع ذلك التهديد واخترع باقي القصة من خياله.

قال بوارو: أجل، هذا قد يفسر الأمور تفسيراً معقولاً.

وعند ذلك قلَب السيد غوبي صفحة جديدة من المفكرة التي كان يقرأ منها وبدأ يقرأ: مؤسسة جوشوا ريستاريك، مؤسسة عائلية تكونت منذ مئة عام، ارتفعت أسهمها بعد الحرب العالمية الأولى وازدادت مصالحها خارج البلاد، وخصوصاً في جنوب

وغرب إفريقيا وأستراليا، وآخِر آل ريستاريك هما سيمون وأندرو. أما سيمون فقد مات منذ عام ولم يترك أطفالاً، وكانت زوجته قد ماتت قبل سنوات، أما أندرو فقد كان يبدو شخصاً قلقاً لا يستقرّ، لم يحب التجارة رغم براعته فيها، هرب من زوجته الأولى مع امرأة أخرى تاركاً الزوجة ومعها طفلة عمرها خمس سنوات، نورما، ذهب إلى جنوب إفريقيا وكينيا ولكنه لم يطلّق زوجته.

- وماذا عن الزوجة؟

- أصيبت بالشلل بعد أن هجرها أندرو ثم ماتت منذ عامين، واستمر هو في رحلاته ومغامراته محقّقاً النجاح أينما حلّ، وبعد وفاة شقيقه سيمون تزوّج وعاد إلى إنكلترا واحتضن ابنته نورما التي أصبحت كما رأيت، وهم يعيشون الآن في قرية لونغ بيزنغ، ومعهم خال أندرو السيد رودريك هورسفيلد، وحالياً تبحث الزوجة عن منزل مناسب في لندن، وهم جميعاً يسبحون في النقود.

تنهد بوارو وقال: ما تقرؤه لي هو قصة نجاح، فكل إنسان يكسب نقوداً، كل إنسان كلمتني عنه سمعته طيبة ومحترَم ومن عائلة كريمة، والجميع ناجحون في مجال الأعمال، ولكن هناك -وسط كل ذلك- فتاة منغمسة مع شاب منحرف اتُّهم كثيراً باشتراكه في عمليات إجهاض، ونقض وعده لفتاة من المحتمل جداً أنها حاولت تسميم زوجة أبيها، وهي ما تزال عُرضة لنوبات جنون أو أنها ارتكبت جريمة قتل. كل هذا لا يتلاءم مع قصة النجاح التي قرأتها لي.

ثم صمت بوارو لحظة وقال: هل المرأة التي فرّ معها أندرو ريستاريك هي نفسها زوجته الثانية؟

- لا، لقد انفصل العاشقان بعد فترة قصيرة؛ فقد كانت امرأة جشعة أنانية، وكان هو أحمق عندما وقع في غرامها.

ثم طوى السيد غوبي مفكرة المعلومات وقال: أتريد منّي خدمة أخرى؟

- نعم، أريد معلومات عن السيدة ريستاريك الأولى، هل كانت قواها العقلية مختلة؟ وما تاريخ الاهتزاز العقلي في العائلة سواء أكان من ناحية الأب أو الأم؟

- حسناً يا سيد بوارو، طابت ليلتك.

* * *

-٩-

قالت كلوديا هولاند: أنا قلقة.

ثم ملأت قدحاً للمرة الثانية بالقهوة في حين تثاءبت فرانسيس كاري بصوت مسموع. كانت الفتاتان تتناولان الإفطار في المطبخ استعداداً للخروج للعمل، أما فرانسيس فقد كانت لا تزال برداء نومها، وكان شعرها متهدلاً فوق وجهها، وعادت كلوديا تقول: أنا قلقة على نورما.

فقالت فرانسيس دون اكتراث: لو كنت مكانك لما قلقت عليها؛ فسوف تطلبنا بالهاتف أو تعود من تلقاء نفسها عاجلاً أم آجلاً.

- ليتني أستطيع أن أطمئن، ولكني لن أكفّ عن القلق.

قالت فرانسيس: أنا لا أفهم سرّ قلقك! هل نحن مسؤولتان عن نورما؟ نحن لسنا وصيفتيها، وهي مجرد جارة لنا في الشقة، فلِم اهتمامك المفاجئ بها؟ وبالمناسبة، لقد رأيت دافيد بيكر الليلة الماضية، وكان يرتدي ملابس جميلة ويبدو رائعاً.

فقالت كلوديا بامتعاض: أرجو ألا تقعي أنت أيضاً في غرامه؛ فهو بشع.

- أنت متحفّظة جداً يا كلوديا.

- أنت مخطئة، أنا لست متحفظة، ولكني لا أحب هؤلاء الأشخاص الرقعاء الذي تقضين وقتك معهم، ولا أحب تعاطي المخدرات.

ولكن فرانسيس لم تغضب، بل ابتسمت وقالت: أنا لست مدمنة مخدرات يا عزيزتي، ولكني أحب أن أجرّب كل شيء، وبعض الأشخاص الذين تسمينهم رقعاء لطفاءُ جداً، دافيد مثلاً، يرسم ببراعة عندما يشاء.

- ولكنه لا يشاء كثيراً، أليس كذلك؟

- أنت لم تميلي إليه قط يا كلوديا، أنت تودين -لو استطعت- أن تطعنيه بالسكين. وبمناسبة الكلام عن السكاكين، لا أدري ما إذا كان يجب أن أخبرك أم لا!

نظرت كلوديا إلى ساعتها وقالت: وقتي لا يسمح بذلك الآن. أخبريني بما تريدين في المساء إذا كان عندك حقاً ما تريدين إخباري به، وعلى العموم ماذا يجب أن أصنع؟ يا إلهي! كم أود أن أعرف بخصوص نورما.

- لا أدري هل نخبر ذويها بغيابها أم لا، أنت تعلمين أن نورما ليست...

ولم تكمل فرانسيس الجملة فقالت كلوديا: أجل، ليست سليمة عقلياً، هل سألت عنها في مكان عملها؟ أنا أذكر أنك سألت.

- أخبروني أنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

- هل أخبرك دافيد بأي شيء في الليلة الماضية؟

- لا يعرف شيئاً، ولكن بالله عليك لا تنزعجي يا كلوديا.

- بل يجب أن أنزعج لأن والد نورما هو مخدومي، وإذا وقع لها مكروه فسوف يسألونني لماذا لم أبلغ عن غيابها.

- أجل، هذا معقول، ولكن ليس ثمة سبب يفرض على نورما أن تخطرنا في كل مرة تنوي فيها أن تغيب عن المنزل يوماً أو اثنين، أو حتى بضع ليالٍ، أقصد أنها ليست ضيفة عندنا، وأنت لستِ مسؤولة عنها.

- أجل، ولكن السيد ريستاريك سعيد لوجود نورما معنا.

- وهكذا تعرّضين نفسك للانزعاج في كل مرة تخرج فيها. من يدري؟ لعلها تعلقت برجل آخر.

- بل هي متعلقة بدافيد، فهل أنت واثقة أنها ليست في مسكنه؟

- لا أعتقد ذلك، وهو ليس جاداً في علاقته بها كما تعلمين.

- هذا ما تزعمينه لنفسك بسبب ميلك لدافيد.

فصاحت فرانسيس: بالطبع لا، هذا غير صحيح.

- دافيد جادّ في تعلقه بنورما، وإلا فلماذا جاء يبحث عنها هنا؟

فنظرت فرانسيس إلى وجهها في مرآة المطبخ وقالت: لعله جاء من أجلي لا من أجلها.

- لا تكوني حمقاء، لقد جاء من أجل نورما.

- هذه الفتاة مجنونة، أنا متأكدة من ذلك. اسمعي يا كلوديا، سأخبرك بما أردت أن أخبرك به، لقد حدث منذ أيام أنني فقدت دبابيس الشعر، وكنت على عجل من أمري ولم أشأ أن أبحث بين حاجياتك؛ فأنا أعلم أنك لا تحبين أن يعبث أحد بحاجياتك، أما نورما فلا تهتم بشيء أو لا تدري بشيء، وهكذا دخلت حجرتها وفتحت درجاً من أدراج خزانتها فوجدت سكيناً.

سألتها كلوديا: أي نوع من السكاكين؟

فأجابت فرانسيس: هل تذكرين تلك المرأة التي كانت مع بعض الشبان في الفناء؟ هل تذكرين أن واحداً طعن الآخر بسكين له شكل خاص؟ لقد كان هذا هو السكين الذي عثرت عليه في درج نورما، وكانت عليه آثار دماء.

- لا تكوني مجنونة، لعلها وجدته في الفناء.

- ثم أحضرته تذكاراً ووضعته بين ثيابها في دُرج خزانتها، هل هذا معقول؟ ثم ما رأيك في أنني بحثت عنه في الدرج ليلة أمس فلم أجده؟ لقد اختفى يا كلوديا.

- هل تعتقدين أنها أرسلت دافيد ليُحضره إليها بالأمس؟

- هذا جائز جداً. اسمعي يا كلوديا، من الآن فصاعداً لن أترك باب حجرتي مفتوحاً في الليل إطلاقاً.

* * *

-٩-

استيقظت السيدة أوليفر من النوم وهي تشعر أنها ليست سعيدة، وكانت ترى أمامها يوماً طويلاً فارغاً لا شيء تفعله فيه، وكانت قد انتهت من روايتها الأخيرة وأرسلتها إلى الناشر، ولم يعُد أمامها إلاّ أن تستريح وتستجمّ، فأخذت تسير في شقّتها دون هدف وهي لا تدري ماذا تفعل! كانت تريد أن تفعل شيئاً خارجاً عن المألوف، شيئاً مثيراً يملأ فراغها، كالسعي مثلاً لمعرفة المزيد عن تلك الفتاة الغامضة نورما. ولكن من أين تبدأ؟! لم يكن من السهل عليها أن تحدد. هل تذهب إلى قرية لونغ بيزنغ؟ ولكن بوارو عرف كل ما يمكن معرفته هناك. هل تذهب إلى منزل الفتيات الثلاثة؟ إذا كان ذلك، فعليها أن تبحث عن عذر جديد لزيارة شقة الفتيات.

ونظرت إلى ساعتها فوجدتها العاشرة صباحاً، فأسرعت ترتدي معطفها ثم خرجت، وفي الطريق اهتدت إلى العذر المناسب، ولو أنه لم يكن مناسباً تماماً.

* * *

وصلَت إلى المنزل ثم خرجَت من السيارة وسارت ببطء في الفناء فوجدت حمّالاً يتبادل الحديث مع سائق عربة لنقل

الأثاث، ثم جاء بائع اللبن وهو يدفع عربته أمامه، فأخذت السيدة أوليفر تنظر متأمّلة عربة الأثاث، فقال لها بائع اللبن متصوراً أنها تبحث عن شقة: الشقة رقم ٧٦ خلَت من ساكنتها، لقد ألقت بنفسها من النافذة من الدور السابع في الساعة الخامسة صباحاً، أليس ذلك وقتاً مضحكاً للانتحار؟

لكن السيدة أوليفر لم تضحك بل سألته: لماذا انتحرت؟

أجاب: لا أحد يعلم، لعل عقلها اختلّ فجأة.

- هل كانت شابة؟

- لا، بل كانت في الخمسين أو أكثر.

وفي تلك اللحظة كان الحمّالون يحملون خزانة من أثاث المرأة المنتحرة، واختل توازن الحمّالين وفُتحت أدراج الخزانة فسقط منها بعض الأشياء، وكان من بينها ورقة طارت في الهواء فالتقطتها السيدة أوليفر، وصاح بائع اللبن في الحمّال: لا تحطم الأثاث كله يا تشارلي.

ثم دخل المصعد يحمل زجاجات اللبن في حين حاولت السيدة أوليفر أن تعيد الورقة الطائرة إلى الحمّالين لكنهم رفضوا، ودخلت السيدة أوليفر المصعد وصعدت إلى الدور السادس، ثم قصدت الشقة رقم ٦٧ وضغطت الجرس ففتحت الباب امرأة عجوز بيدها مكنسة كان يبدو أنها عاملة النظافة فسألتها السيدة أوليفر: هل يمكنني مقابلة الآنسة نورما؟

- ليس هنا أيّ من الفتيات الثلاثة يا سيدتي. هل من خدمة أؤديها لك؟

- آه، طبعاً، الواقع أنني نسيت مفكرة مذكراتي هنا في زيارتي السابقة، لا بدّ أنها في حجرة الاستقبال.

قالت المرأة: أنا لم أمسّ شيئاً يا سيدتي، هل تحبين أن تدخلي وتبحثي عنها؟

فقبلت السيدة أوليفر الدعوة ودخلت خلف المرأة إلى حجرة الاستقبال، وبدأت تحاول اجتذاب هذه المرأة الساذجة إليها فقالت: هذا هو الكتاب الذي قد تركته للآنسة ريستاريك. تُرى هل عادت من الريف؟

- لا أعتقد ذلك؛ سريرها يدل على أنها لم تستعمله منذ أيام، ولعلها ما تزال مع أسرتها في الريف، فقد ذهبَت إليهم في عطلة نهاية الأسبوع الماضي.

- ومصداقاً لكلامك فما يزال الكتاب الذي أحضرتُه لها في مكانه، هذا كتاب من تأليفي.

ولكن الجملة الأخيرة لم تُثِر اهتمام المرأة، وتابعت السيدة أوليفر تقول: تُرى أين تركت مفكرة مذكراتي؟! لقد كنت أجلس في هذا الكرسي، ثم تحركت نحو النافذة، ثم جلست فوق الأريكة.

فقالت المرأة: هل تعرفين الفتيات الثلاث يا سيدتي؟

قالت السيدة أوليفر: نعم، الآنسة فرانسيس فنانة، أليس كذلك؟

أجابت المرأة: هي تعمل في متحف للفن، ولو أنها لا تعمل كثيراً، وهي أيضاً -أحياناً- ترسم أشجاراً أو أبقاراً يستحيل أن

يرى فيها إنسان أشجاراً أو أبقاراً، وهي فتاة كسول مهملة، ولا يمكنك أن تتخيلي مدى قذارة حجرتها، أما حجرة الآنسة هولاند فهي نظيفة لامعة، وهي تشتغل حالياً سكرتيرة خاصة لرجل ثري عاد حديثاً من جنوب أمريكا أو جنوب إفريقيا، لا أدري، وهو والد زميلتها نورما في نفس الوقت، وهو الذي طلب من الآنسة هولاند أن تقبل ابنته شريكة لها في الشقة، ولم يكن في استطاعتها أن ترفض، أليس كذلك؟

- هل كانت تفضّل أن ترفض؟

- أعتقد أنها كانت ترفض لو أنها كانت تعرف.

- تعرف ماذا؟

- لا أقصد أن الآنسة نورما فتاة رديئة، ولكنها عصبية، وإن كانت معظم الفتيات عصبيات في هذه الأيام، ولكني أعتقد أنها يجب أن تستشير طبيباً؛ فهي أحياناً تبدو وكأنها لا تعرف أين هي، أو ماذا تفعل؟ ولعلها تتعاطى شيئاً، فالكثيرات يفعلن نفس الشيء.

- أعتقد أنها على علاقة بشاب معيَّن ضد رغبة عائلتها.

- أجل، ولقد زارها هنا كثيراً، ولو أني لم أرَه قط، والآنسة هولاند أيضاً لا تحبه، ولكن ماذا في استطاعتها أن تفعل؟ الفتيات يفعلن ما يحلو لهنّ في هذه الأيام، أما أنا فأعتقد أن الآنسة نورما يمكن أن تكون أحسن حالاً لو أنها في منزل عائلتها.

- ولكنها لم تكُن سعيدة وسط عائلتها لأن لها زوجة أب،

ومعظم الفتيات لا يحببن زوجات الآباء، وإن كنت أعلم أن زوجة والد نورما فعلت كل ما في قدرتها لتساعد نورما، ولتُبعد عنها قرناء السوء، ولكن دون جدوى.

وبدا على المرأة ما يدل على رغبتها في مواصلة عملها فقالت السيدة أوليفر بسرعة: من المؤسف أنني لم أجد مفكرة مذكراتي، وأخشى أنني ضيّعت الكثير من وقتك.

قالت المرأة: إذا عثرت على المفكرة فسوف أحتفظ بها لك.

خرجت السيدة أوليفر من الشقة وتساءلت عن الخطوة التالية، ولكنها لم تهتدِ إلى شيء تستطيع أن تفعله في ذلك اليوم، غير أن ملامح خطة معينة بدأت ترتسم في خيالها للغد.

* * *

في الصباح التالي استيقظت نشطة وتناولت إفطاراً خفيفاً، ثم خرجت لتنفيذ خطتها. وصلت إلى منزل الفتيات الثلاث لكنها لم تدخل الفناء، بل وقفت خلف أحد الأعمدة وأخذت تراقب الخارجين والداخلين. كان معظم الخارجين من الفتيات العاملات، وفجأة لمحت كلوديا هولاند خارجة وكانت تبدو أنيقة نظيفة، فاستدارت السيدة أوليفر حتى لا تراها كلوديا، وظلت واقفة حتى ابتعدت الفتاة، ثم سارت خلفها محاذرة أن تراها.

ظلت السيدة أوليفر تتعقب الفتاة حتى وصلت كلوديا أخيراً إلى مقر عملها في مؤسسة جوشوا ريستاريك، وبعد ذلك لم

تعرف السيدة أوليفر ماذا تفعل؟ هل تذهب إلى المتحف الذي تعمل به فرانسيس لتتحرى عنها؟ ثم نبتت الفكرة، وسارت على غير هدى منتظرة هبوط الوحي، ثم شعرت بجوع مفاجئ فدخلت أول مطعم صادفها، ووجدت المطعم عامراً بالزبائن فأخذت تنظر حولها باحثةً عن منضدة خالية، وعند ذلك شهقت مذهولة؛ فقد رأت فتاة وشاباً يجلسان إلى منضدة بجوار الحائط، وكان الشاب يلبس صديرياً أحمر اللون وسترة مزركشة وشعره يتدلى على كتفيه، أما الفتاة فقد كانت نورما ريستاريك، فقالت السيدة أوليفر لنفسها: لا بد أن ذلك الشاب هو دافيد بيكر.

وبسرعة فكرت السيدة أوليفر في الخطوة التالية واهتدت إليها، فدخلت دورة المياه الخاصة بالسيدات، ووقفت أمام المرآة وهي تحدّث نفسها: أعتقد أنني أستطيع أن أغيّر ملامحي حتى لا تعرفني نورما. تُرى ما هو أهم ما يميز ملامح المرأة ويغير وجهها؟ إنه الشعر.

فانتزعت السيدة أوليفر الباروكة ووضعتها في حقيبتها، ثم أخرجت المشط وفرقت شعرها من الوسط ومشّطته بحيث أعادته إلى الخلف وجمعته في عقدة خلف رقبتها، ثم أخرجت نظارة شمسية وضعتها على عينيها وأضافت بعض اللمسات إلى وجهها، وأخيراً رضيت عن النتيجة وحدّثت نفسها قائلة: لو رأتني أمي الآن لما عرفتني.

وأخيراً خرجت من دورة المياه إلى المطعم وهي امرأة مختلفة تماماً عن المرأة التي دخلت. سارت في المطعم واختارت منضدة مجاورة لمنضدة نورما ودافيد، وحرصت أن تولي ظهرها ناحية نورما حتى لا تراها، ثم جاءت النادلة

فطلبت السيدة أوليفر قدحاً من القهوة وقطعة من الكعك، أما نورما ودافيد فقد كانا مستغرقَين في الحديث بحيث لم يلاحظا السيدة أوليفر.

جاءت القهوة والكعك وشرعت السيدة أوليفر تأكل وتلتقط ما يصل إليها من حديث الشابَّين. كان دافيد يقول بانفعال: أنت تتخيلين هذه الأمور، هذه مجرَّد أخيلة، أوهام، أوهام مجرَّدة يا عزيزتي.

قالت نورما: لا أدري، لا أدري، لم أعُد أدري شيئاً.

فقال دافيد: صدقيني، زوجة أبيك تبالغ كثيراً، يا لها من امرأة غبية تتخيل نفسها مريضة، وعرضة للتسمم!

قالت نورما بصوت لا حياة فيه: ولكنها كانت مريضة.

قال دافيد: وعلى فرض أنها كانت مريضة، فلماذا لم تستدعِ طبيباً وتستشِره بدلاً من كل هذه الاتهامات؟!

- لقد ظنّت أنني دسست لها السم، وأبي أيضاً يظن ذلك.

- تأكدي يا نورما أن كل هذه الأشياء من صنع مخيلتك.

- أنت تقول هذا لتشجعني يا دافيد، ولكن افرض أنني حقاً دسست السم لزوجة أبي.

فصاح دافيد: ماذا تعنين بكلمة "افرض"؟ لا بد أنك تعرفين ما إذا كنت قد دسست السم أم لا؟ من المستحيل أن تكوني بلهاء إلى هذا الحد.

- لا أدري، لم أعُد أدري شيئاً.

- أنت تكررين هذه الكلمة دون تعب، لا أدري، لا أدري، لم أعُد أدري.

- أنت عاجز عن الفهم يا دافيد، أنت عاجز عن فهم الكراهية. لقد كرهت زوجة أبي منذ أن رأيتها للمرة الأولى.

- لقد أخبرتِني بذلك مراراً وتكراراً.

- حقاً؟ ولكني لا أذكر أنني أخبرتك بشيء. تصور! أنا أتكلم عن أشياء أريد أن أقوم بها أو قمت بها أو سوف أقوم بها، ثم أنسى كل شيء، كأن كل هذه الأشياء تدور في رأسي فقط. هل أخبرتك بذلك من قبل يا دافيد؟

- اسمعي يا نورما، لا تدعينا نعود إلى الدوران في هذه الحلقة من جديد.

- ولكني أخبرتك، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟

- بلى، بلى، كثيراً ما يتفوه المرء بمثل هذه الأشياء: "أنا أكره هذا الشخص أو ذاك، أريد أن أقتل هذا الشخص"... ولكن هذه أحلام يقظة أو خطرات العقل الباطن، أنت أكثر نضوجاً من هذا يا نورما، جميع الأطفال يقولون إنهم سوف يقتلون ذويهم أو مدرسيهم، ثم ينسون ما قالوا بعد ذلك، هذا شيء طبيعي.

- هل تعتقد أن الأمر لم يخرج عن هذا؟ ولكن ذلك معناه أنني متخلفة عاطفياً.

- أنت متخلفة في بعض النواحي، ولكن يجب أن تتمالكي

زمام أعصابك لتري تفاهة الموضوع كله. ماذا يهم إذا كنت تكرهين زوجة أبيك؟ لقد هجرت المنزل ولست مُضطرة للحياة معها.

- ولكن لماذا لا أعيش في منزل أسرتي؟ لماذا لا أعيش مع أبي؟ ذلك ليس عدلاً! لقد هجر أبي أمي قديماً، وعندما ثاب إلى رشده وعاد إلى لندن وأخذني معه إذا به يتزوج هذه المرأة! من الطبيعي أن أكرهها، وهي أيضاً تكرهني، لقد تعودت أن أحلم بموتها، أن أحلم بقتلها، وكنت أتصور بيني وبين نفسي عشرات الطرق للتخلص منها، ولكن عندما مرضَت حقاً أدركتُ ما فعلتُ.

قال دافيد: ماذا تعنين؟

- لقد وجدت زجاجة السم في درج خزانتي، فتحت الدرج وإذا بي أجدها.

سألها: أيّ زجاجة؟!

- زجاجة «قاتل الأعشاب الضارة». هذا هو اسمها، ومكتوب عليها أيضاً أنها خطيرة وسامّة.

- هل أنت التي اشتريتِها أم أنك وجدتِها فقط؟

- لا أدري، ولكني وجدتها في درج خزانتي وكانت نصف فارغة.

- وعند ذلك، هل تذكرت؟

أجابت ببطء: نعم، نعم؛ أعتقد أن ذاكرتي عادت إليّ أمام منظر الزجاجة. ألا تعتقد ذلك أيضاً يا دافيد؟

فتنهد دافيد وقال: لا أدري حقاً ماذا أصنع معك يا نورما! أعتقد أنك تخترعين القصة كلها محاوِلة إيهام نفسك بأنها حقيقة.

- ولكن زوجة أبي ذهبت إلى المستشفى، وتحيّر الأطباء في علتها ثم تحسنت في المستشفى، وعندما عادت إلى المنزل مرضت من جديد، وعند ذلك بدأ الخوف يغزوني وبدأ والدي ينظر إليّ نظرات غريبة، وعندما جاء الطبيب إلى المنزل دخل مع والدي حجرة مكتبه وأغلقا الباب عليهما وتحادثا معاً، فتسللتُ إلى الحديقة واقتربت من نافذة الحجرة وسمعت حديثهما، كانا يقولان إنني مجنونة، فملأني الخوف لذلك. أنا لم أكن متأكدة من أنني فعلت ما فعلته أو فعلت ما لم أفعله.

قال دافيد: اسمعي يا نورما، أنت تعرفين أنني لا أهتم بالزواج ولا بالروابط العائلية، وليس في نيتي لعدة سنوات أن أفكر في الاستقرار المنزلي، ولكني أعتقد أن أفضل شيء هو أن نتزوج، نستطيع أن نتزوج في أي مكتب زواج وعليك أن تدّعي أن سنك فوق الحادية والعشرين، ومتى تزوجنا فإن والدك لن يستطيع أن يفعل شيئاً حيالك، لن يستطيع أن يرسلك إلى مصحة نفسية أو أيّ شيء.

- أنا أكرهه.

- يبدو أنك تكرهين الدنيا كلها.

- لا أكره إلاّ أبي وزوجته، وخصوصاً أبي. انظر ماذا فعله بأمي، لقد كنت طفلة في الخامسة في ذلك الوقت، ولكني لا زلت أتذكر، كان يرسل إليّ هدايا في الأعياد ولكنه لم يزُرني

قط، لقد نسيت هيئته على مدى السنوات، وما كنت لأعرفه لو أنني قابلته مصادفة في الطريق، لم يعد يعني بالنسبة لي أي شيء. أما أمي المسكينة فقد كانت تتألم كثيراً، وكانت تقضي أوقاتاً طويلة في المستشفى ثم تعود إلى المنزل، ولم أعرف علّتها قط. اسمع يا دافيد، أعتقد أن هناك خللاً في عقلي، وأخشى أن ذلك سوف يجعلني أرتكب جريمة يوماً ما، مثل حادث السكين.

- أي سكين؟

- لا يهم، فهو مجرد سكين.

- ألا تستطيعين أن تفصحي عما تتكلمين عنه؟

- أعتقد أن السكين كان ملطخاً بالدم، وكان في درج خزانتي في الشقة.

- هل تذكرين أنك أخفيت سكيناً في الدرج؟

- أعتقد ذلك، ولو أني لا أذكر شيئاً قبل ذلك؛ فأنا لا أذكر أين كنت قبل أن أجد السكين. هناك ساعة كاملة لا أذكر دقيقة منها، لقد ذهبت إلى مكان ما في هذه الساعة وارتكبت شيئاً ما، ولكني لا أذكر شيئاً.

وفي تلك اللحظة اقتربت النادلة فوضع دافيد إصبعه على فمه محذراً ثم قال: سوف تكونين على ما يرام يا نورما سوف أعتني بك، دعينا نتناول طعامنا.

* * *

-١٠-

كان بوارو يملي رسالة على سكرتيرته الآنسة ليمون عندما دق جرس الهاتف فجأة، وكانت المتحدثة هي السيدة أوليفر التي صاحت: سيد بوارو، لقد وجدتها؟

قال بوارو بصبر: وجدت ماذا؟

هتفت: الفتاة التي تبحث عنها، الفتاة التي تعتقد أنها قاتلة، نورما ريستاريك، تتحدث عن جريمتها الآن، وأعتقد أنها مجنونة. هل تريد أن تحضر لتراها؟

أجاب: طبعاً، ولكن من أين تتكلمين يا سيدتي العزيزة؟

أجابت: من مطعم في شارع ثورب، هل تستطيع الحضور فوراً؟ فهما جالسان معاً.

- هما؟! من هما؟

- نورما وصديقها دافيد بيكر طبعاً، هو يبدو شغوفاً جداً بها، ولا أدري لماذا، ولكني لا أريد أن أضيع الوقت في الكلام حتى لا ينصرفا.

- ما أذكاك يا سيدة أوليفر لعثورك على ضالّتنا!

تنهدت السيدة أوليفر وقالت: لا أستطيع أن أدّعي الذكاء، لقد دخلت المطعم فرأيتها.

- لقد كنت حسنة الحظ إذن، هذا نفس الشيء، عودي إليهما وسألحق بك فوراً.

في نفس الوقت كانت الآنسة ليمون سكرتيرة بوارو قد أسرعت إلى الشارع بعد أن سمعت نصف المكالمة واستوقفت سيارة أجرة في انتظار خروج بوارو، وما هي إلا دقائق حتى وصلت سيارة الأجرة وفيها بوارو إلى شارع ثورب، وخرج بوارو ودفع أجر السائق، ثم نظر حوله فرأى المطعم ولكنه لم يرَ أحداً مثل أوليفر مهما كان تنكرها.

سار إلى نهاية الشارع ثم عاد إلى أوله، ولكن لا أثر للسيدة أوليفر، وخمّن بوارو أن الشابَّين خرجا من المطعم واضطُرت السيدة أوليفر أن تسير في أثرهما، ودخل بوارو المطعم وأدار عينيه في الجالسين وفي الحال وقعت عيناه على الفتاة التي زارته ذات صباح، نورما ريستاريك، كانت تجلس وحيدة إلى منضدة قرب الحائط وكانت تدخّن سيجارة وتبدو عليها علامات التفكير أو الاستغراق في حلم بعيد.

عبر بوارو الصالة بهدوء ثم جلس في المقعد الذي كان يشغله دافيد بيكر، وعند ذلك تنبهت نورما إلى وجوده وبدا عليها أنها عرفته. قال بوارو بلطف: ها نحن نتقابل من جديد يا آنسة، وأرى أنك لم تنسَي وجهي.

أجابت: أجل.

- جميل أن يشعر المرء أن فتاة شابة لم تنسَ وجهه رغم

أنها رأته لبعض لحظات عابرة مرة واحدة، تُرى كيف تعرفت عليّ؟

أجابت: شاربك، لا أحد في الوجود له شارب مثل شاربك.

ففتل بوارو شاربه بخيلاء وقال: أجل، فهو شارب فريد في نوعه، أليس كذلك؟

- بلى، لا أدري، أعتقد أنه كذلك.

- يبدو أنك لست خبيرة بالشوارب، ولكن تأكدي يا آنسة ريستاريك أن شاربي جميل جداً.

قالت الفتاة بانزعاج: كيف عرفت اسمي؟ كيف حصلت عليه؟ من أخبرك به؟

فقال ببساطة: صديق لي.

- من هو؟

- ما دمت تحرصين على كتمان أسرارك عنّي فأنا أيضاً أفضّل أن أحتفظ بأسراري.

قالت: أنا لا أدري كيف عرفت اسمي.

- أنا هيركيول بوارو، لا شيء يخفى عني.

وفي تلك اللحظة اقتربت النادلة التي كانت تتأمل بوارو منذ فترة كأنما للتأكد من أنه الشخص المقصود، وأعطته ورقة مطوية قائلة: هذه لك يا سيد بوارو، لقد تركَتها سيدة.

فسألها بوارو: وكيف عرفتِني؟عرفتِ

أجابت: من شاربك؛ فلقد قالت السيدة أنني سوف أرى سيداً له شارب لم أرَ مثله في حياتي، وهي على حق.

قال بوارو: حسناً، شكراً جزيلاً لك.

وانصرفت النادلة وبسط بوارو الورقة التي كان مكتوباً فيها بخط السيدة أوليفر: «لقد نهض دافيد بيكر لينصرف، وسوف أتعقبه، أما نورما فهي باقية وسوف أتركها لك».

وضع بوارو الورقة في جيبه ثم قال للفتاة: فيمَ كنا نتكلم؟

سألته: هل تعرف اسمي فقط أم تعرف كل شيء عني؟

أجاب: أعرف عنك بعض الأشياء. أنت نورما ريستاريك، عنوانك في لندن هو ٦٧ الدور السادس ضاحية بورودين، عنوانك في الريف هو لونغ بيزنغ، أسرتك مكوَّنة من والدك وزوجته والعم السيد رودريك وسكرتيرته سونيا.

فشهقت الفتاة وقالت: هل تتعقبني؟

- أقسم لك بشرفي أن أحداً لم يتعقبك.

- ولكنك لست من رجال الشرطة؟

قال: أنا لست من رجال الشرطة.

- أنا لا أدري ماذا أفعل.

- أنا لا أحاول أن أفرض عليك خدماتي؛ فأنت تعتقدين أنني رجل عجوز جداً ولعلك أيضاً على حق، ولكن ما دمت أعرف بعض الأشياء عنك فأنا لا أرى مانعاً من أن نناقش معاً بطريقة ودية الأمور التي تزعجك. قد أكون عجوزاً غير قادر على

الجري هنا وهناك، ولكن عندي الخبرة التي تمكنني من رؤية الأشياء بطريقة أكثر وضوحاً منك.

فاستمرت نورما تنظر إليه بعينين قلقتين، وأخيراً قالت: يظنون أنني مجنونة، وأنا أيضاً أظن ذلك. أنا مجنونة.

فقال بوارو بمرح: هذا شيء جميل، هناك أسماء كثيرة لمثل هذه الحالات، أسماء علمية طويلة، ولكن الصفة التي اخترتِها هي الصفة التي يعرفها رجل الشارع. حسناً أنت مجنونة، أو يبدو أنك مجنونة، أو تعتقدين أنك مجنونة، أو مجنونة فعلاً... ولكن على أية حال ليس هناك ما يدعو للقلق؛ فهو مجرَّد مرض يعاني منه الكثيرون وله علاج، فالناس يصابون بالجنون عندما يتعرضون لإرهاق نفسي شديد، أو بسبب استذكار الكثير من أجل الامتحانات أو لأنهم يسرفون في عواطفهم أو يتعصبون ضد الدين أو يكرهون آباءهم أو أمهاتهم... أو بكل بساطة بسبب الفشل في الحب.

قالت نورما: لي زوجة أب أكرهها، وأكره أبي أيضاً، هذا كثير، أليس كذلك؟

قال: المعتاد أن تكره الفتاة أباها أو زوجة أبيها، لا الاثنين معاً! هل أنت متعلقة جداً بأمك؟

أجابت: نعم، أعتقد ذلك، أقصد طبعاً كنت متعلقة بها. لقد كانت مشلولة وكانت تتردد على المستشفيات كثيراً، أما والدي فقد رحل إلى الخارج قبل مرض أمي بكثير، ذهب إلى جنوب إفريقيا عندما كنت في الخامسة من عمري، وأعتقد أنه كان يريد أن يحصل على الطلاق من أمي، ولكنها رفضت.

وعمل في التجارة والمناجم ولكنه كان يكاتبني ويرسل إليّ هدايا في أعياد الميلاد، وهذا كل شيء. لذلك لم أتصوره مخلوقاً حياً، ثم عاد إلى إنكلترا منذ عام بعد وفاة أخيه سيمون، ولكنه رجع ومعه زوجته الثانية ماري.

- وهل ضايقك ذلك؟

- جداً.

- لماذا؟ كانت والدتك قد ماتت قبل ذلك، فما الذي يمنع الزوج الأرمل من أن يتزوج امرأة ثانية؟ ولكن هل كانت زوجته ماري هي نفس المرأة التي هرب معها؟

- لا، ماري شابة وجميلة، ولكنها كانت تتصرف وكأنها تملك والدي.

وصمتت نورما لحظة ثم تابعت حديثها بصوت كصوت الأطفال: لقد كنت أحلم دائماً بعودة أبي إلى إنكلترا، أحلم بأنه سوف يضمّني إلى منزله ويهتم بي ويرعاني، ولكن هذه المرأة تمنعه من ذلك. إنها ضدي، غريمتي، لقد اضطرتني إلى أن أترك المنزل.

- ولكن شابة في سنك لا تحتاج إلى من يرعاها، ففي استطاعتك أن تقفي على قدميك وأن تتمتعي بالحياة وأن تختاري أصدقاءك.

- لا أحد يسمح لي باختيار أصدقائي.

- معظم الفتيات في هذه الأيام مضطرات إلى ابتلاع الانتقاد بسبب أصدقائهن من الشبان.

- لم يكن الأمر كذلك في الماضي، فعندما كنت في الخامسة من عمري كان والدي يداعبني وكان غاية في المرح، أما الآن هو ليس مرحاً بل هو دائم القلق والوحشية، لقد أصبح مختلفاً تماماً.

- لقد مضى خمسة عشر عاماً على الأقل، والناس يتغيرون. ولكن هل تغير مظهره أيضاً؟

- لا، لم يتغير مظهره. لا، لا، إذا رأيت اللوحة التي رُسمت له منذ سنوات رأيت أنه لم يتغير، ولكنه مختلف عما عهدته.

- يجب أن تعلمي يا ابنتي أن الناس يختلفون عن الأنموذج الذي يصوره لهم الإنسان في مخيّلته، بعدما يحب المرء شخصاً فإنه يخلق له نموذجاً جميلاً في حياته، ويظل محافظاً على هذا النموذج لأنه يحبه.

- هل تعتقد ذلك؟ هل تعتقد ذلك حقاً؟ ولكن لماذا أظن أنني أريد أن أقتل؟

- هذا سؤال ظريف، ولعل هناك سبباً ظريفاً أيضاً، أما الوحيد القادر على الردّ عليك فإنه طبيب، طبيب من النوع الذي يعرف.

- لا أريد طبيباً، لن أقترب حتى من أيّ طبيب! لقد أرادوا عرضي على طبيب ولكني كنت واثقة من أنه سوف يأمر بوضعي في حجرة مغلقة لا أغادرها قط، ولن أعرّض نفسي لذلك أبداً.

قالت ذلك وهي تتأهب للقيام فقال بوارو: لست أنا الذي

يستطيع أن يرسلك إلى طبيب، لا تنزعجي، في استطاعتك أنت أن تذهبي إلى طبيب من تلقاء نفسك وبمحض إرادتك، وفي استطاعتك أن تذكري له كل ما ذكرته لي وسوف يعرف هو السبب.

– هذا ما يقوله دافيد، ولكنني واثقة أن دافيد لا يفهم. كيف أجرؤ على أن أقول لطبيب غريب أنني حاولت...؟

ثم ترددت وسكتت، فقال بوارو: ماذا يجعلك تعتقدين أنك ارتكبت شيئاً؟

– لأنني أنسى دائماً ما أفعله وأنسى أين كنت! أنا أفقد ذاكرتي ساعة أو ساعتين ولا أذكر عنهما أيّ شيء، أذكر أنني كنت في ممر بالقرب من حجرتي، وكان في يدي شيء لا أدري عنه أي شيء، وجاءت هي تسير نحوي، وعندما اقتربت مني تغيّر وجهها وتحولت إلى امرأة أخرى تماماً!

– هذا كابوس؛ ففي الكوابيس فقط يتحول الأشخاص إلى أشخاص آخرين.

ولكنها قالت بعناد: لم يكن وهماً، لقد التقطت المسدس، وكان المسدس على الأرض قريباً مني.

– في الممر.

– لا، بل في الفناء، ثم جاءت هي وأخذته مني.

– من هي؟

– كلوديا، أخذت المسدس من يدي، وصعدت بي إلى الشقة وجعلتني أشرب دواء مراً.

- وأين كانت زوجة أبيك في ذلك الوقت؟

- كانت هناك أيضاً. لا، لم تكن هناك، كانت في الريف أو في مستشفى حيث وجدوا أنها مصابة بتسمم، وأنا المسؤولة عن تسميمها.

- ممكن جداً أن يكون شخص آخَر قد حاول تسميمها، زوجها مثلاً.

- أبي؟! لماذا يحاول تسميمها؟ إنه يحبها جداً.

- هناك أشخاص غيره وغيرك في المنزل.

- عمي رودريك! مستحيل.

- لعل زوجة أبيك هي التي دسّت السم لنفسها.

- تقصد أنها حاولت الانتحار؟ هي ليست من النوع الذي ينتحر، ولماذا تنتحر؟

- أنت تتصورين أنها إذا شاءت الانتحار فإنها تفتح صنبور الغاز أو أنها تتناول جرعة زائدة من الحبوب المنوّمة ثم تستلقي في الفراش، أليس كذلك؟

- بلى، فهذا يناسبها أكثر، والآن أنت ترى أنه لم يعد هناك غيري، لا بد أنه أنا.

- بل أنت ميّالة إلى الاعتقاد بأنه أنت.

- كيف تجرؤ على أن تقول شيئاً مثل هذا؟

- لأنه حقيقي. فكرة القتل تثيرك؛ فهي تسعدك.

صاحت: كلام فارغ، هذيان.

ثم فتحت حقيبتها وأخذت تبحث داخلها قائلة: لن أظل جالسة هنا وأسمح لك بأن تواجهني بهذه الأقوال الفظيعة.

ثم أشارت بيدها إلى النادلة من أجل الحساب فقال بوارو: اسمحي لي.

ثم مد يده في جيبه محاولاً أن يدفع الحساب، ولكن نورما منعته صائحة: لن أسمح لك أن تدفع لي شيئاً.

- كما تشائين.

كان من الواضح الآن أن دافيد لم يدفع الحساب قبل ذهابه، وهو لذلك لا يمانع في أن تنفق فتاته عليه. قال بوارو: إذن أنت التي تنفقين على صديقك؟

- كيف عرفت أنني كنت أجلس مع صديق؟

- قلت لك إنه لا شيء يخفى على هيركيول بوارو.

ولكن نورما دفعت الحساب ونهضت وقالت تحذّر بوارو: أنا ذاهبة الآن وإياك أن تتبعني.

- لن أستطيع أن أتبعك فلست نشيطاً مثلك.

سارت نورما نحو الباب ثم توقفت ثانياً ونظرت إلى بوارو وصاحت: هل تسمعني؟ إياك أن تتبعني!

فسار بوارو حتى اقترب منها ثم قال: اسمحي لي على الأقل أن أفتح لك الباب.

ثم فتح الباب وانحنى بأدب وقال: إلى اللقاء يا آنسة.

ولكنها لم تردّ عليه، بل خرجت وسارت بسرعة وهي تنظر خلفها لتتأكد من أنه لا يسير خلفها، ولكن بوارو لم يفكر في تعقّبها، بل ظل واقفاً حتى اختفت عن بصره ثم عاد إلى المطعم وسأل نفسه: ماذا يعني كل هذا بالله؟

ثم جلس في المقعد وطلب كوباً من القهوة وقال لنفسه: هناك شيء غريب في كل هذا، شيء غريب جداً!

* * *

-١١-

جلست السيدة أوليفر في الحافلة وهي تلهث؛ فقد تعقبت دافيد الذي وصفته لنفسها بأنه طاووس بعد أن غادر المطعم. وكان دافيد يسير بسرعة فشقّ عليها أن تتابعه، ولكنها سارت وهي تكاد تجري حتى وصل إلى النفق فهبط فيه وهي تتبعه، وسار حتى وصل إلى ميدان سلون فخرج من النفق، وخرجت مطارِدته خلفه ورأته قد وقف في الطابور في محطة الحافلات فوقفَت في الطابور بعده بعدّة أشخاص.

جاءت الحافلة ودخلها الطاووس فدخلت خلفه، ثم خرج من الحافلة فخرجت خلفه، وسار في شوارع دائرية وهي تتبعه كظله حتى وصل إلى فناء واسع فاختبأت السيدة أوليفر لحظة ثم نظرت إلى الفناء فلم تجد الطاووس! نظرت حولها في كل مكان فلم تجده، ولم تعد تعرف أين هي الآن بعد كل هذه الشوارع الدائرية التي تعقّبته فيها. كانت تقف في فناء واسع تحيط به مبانٍ لا تبدو عليها دلائل العمران، وفجأة سمعت صوتاً خلفها يقول بلهجة استخفاف لاذعة: أرجو ألاّ أكون قد أتعبتك في مطاردتي.

استدارت السيدة أوليفر خلفها بحدّة وقد شعرت بخوف

مفاجئ؛ فقد شعرت بأن المغامرة الطريفة التي قامت بها قد انقلبت جداً، وتواردت على خاطرها بسرعة هستيريا قصص حوادث القتل التي تقرأ عنها في الصحف، حوادث قتل يكون ضحيتها عجائز في مثل سنها، والقتلة شبان مشحونون بالحقد والثورة والسخط على كل شيء، أو شابّ مثل ذلك الطاووس الذي تصورت أنها تعقّبته دون أن يشعر بها في حين هو كان يعرف منذ اللحظة الأولى أنها تقتفي أثره، ولذلك قادها حتى أوصلها إلى هذا المكان النائي تمهيداً لـ... لماذا؟

كان ينظر إليها بسخرية مهذَّبة تخفي حقداً مريراً، وفكرت السيدة أوليفر بسرعة في طريقة للخلاص فجلست على صندوق قمامة مغلَق وقالت بلهجة حاولت أن تجعلها مرحة: يا إلهي! كم أفزعتني! لم أكن أعرف أنك هنا.

قال: إذن كنت تقتفين آثار خطواتي؟

فأجابت باسمة: أجل، وأرجو ألاّ يكون ذلك قد أزعجك، ولكني سوف أشرح لك. الواقع أنني رأيتها فرصة سانحة لأن أجرب على الطبيعة ما أكتبه على الورق؛ فأنا كاتبة روايات بوليسية، وفي هذا الصباح كنت أكتب فصلاً عن رجل شرطة يتعقب غريماً له، ثم خطر ببالي أن أجرب ذلك في الواقع فخرجت وجلست في مطعم شارع ثورب، ثم رأيتك أمامي وفكرت على الفور أنك شخص يسهل اقتفاء خطواته.

وكان الطاووس لا يزال ينظر إليها تلك النظرة الغريبة الثاقبة الباردة ثم سألها: لماذا فكرت أنني شخص يسهل اقتفاء خطواته؟

أجابت: بسبب ألوان ملابسك الزاهية، فملابسك جميلة جداً وجذّابة، وهكذا فكرت في أن أستفيد من مظهرك المزركش لكي أميزك بين السائرين في الشارع. ثم خرجت خلفك من المطعم، ولو أنني أعترف أن تعقبك لم يكن سهلاً تماماً. قل لي هل شعرت بي منذ أوّل لحظة؟

- لا، ليس من أول لحظة.

- لعل ذلك لأن ملابسي ليست زاهية الألوان مثل ملابسك ومن الصعب عليك أن تميزني بين مجموعة من النساء اللاتي في سنّي، وعموماً فأنا لا أتمتع بمظهر خاص، أليس كذلك؟

سألها: هل تكتبين الشعر؟

أجابت: لا، لقد كتبت أربعين رواية حتى اليوم وكلها نُشرت، أنا أريادني أوليفر.

وعند ذلك بدت عليه دلائل المعرفة فقالت السيدة أوليفر: أرى أنك سمعت بي، يسعدني ذلك رغم أنني أخشى أنّ كتبي قد لا تعجبك كثيراً؛ فقد تجد كتاباتي من الطراز القديم.

- ألم تكوني تعرفينني من قبل؟

فهزت رأسها قائلة: لم يتفق لي هذا الشرف من قبل.

- والفتاة التي كانت معي؟

- لا، لا أعرفها أيضاً، ولو أنني لم أرَ وجهها، والواقع أن جميع الفتيات يظهرن متشابهات.

فقال فجأة بحدة مباغتة: ولكنها تعرفك، لقد أخبرتني أنها

قابلتك منذ فترة قصيرة، منذ أسبوع فيما أعتقد.

- أين؟ في حفلة؟ لعلني قابلتها. ما اسمها؟ لعلني أذكرها إذا عرفت اسمها.

بدا عليه أنه يفكر هل يخبرها أم لا، وأخيراً قال: اسمها نورما ريستاريك.

قالت: نورما ريستاريك؟ نعم، أذكر أنني قابلتها في حفلة في الريف، في قرية لونغ بيزنغ فيما أعتقد. لقد ذهبت إلى هناك مع بعض أصدقائي. لا أظن أنني كنت أستطيع التعرف على فتاتك على أية حال، رغم أنني أذكر أنها ناقشتني عن كتبي في ذلك الحفل، بل لقد وعدتها أن أهديها واحداً من كتبي. من العجيب أن الشخص الذي أختاره هدفاً لمطاردتي يكون جالساً مع فتاة أعرفها، أليس كذلك؟ ولكن ما هذا المكان؟

قال: دعيني على الأقل أريك المكان الذي أوصلَتك إليه مطاردتك لي، هيا اصعدي هذا الدرَج معي.

فبدأ الخوف يعاودها من جديد وحدثت نفسها قائلة: لا فائدة يا أريادني، لقد أوقعت نفسك في هذا المأزق وعليك أن تواصلي الرحلة إلى نهايتها لترَي كل ما يمكن أن تريه.

تقدم دافيد وأخذ يصعد الدرَج وخلفه السيدة أوليفر وهي لا تزال تشعر بالخوف في أعماق قلبها! لقد كانت خائفة منه، ولكنها خائفة أكثر من المكان الذي قد يقودها إليه. انتهى الدرَج إلى باب فتحه دافيد ودخل، وتبعته السيدة أوليفر فوجدت نفسها في حجرة واسعة خالية تقريباً من الأثاث، كانت مرسماً به بعض أدوات الرسم والقماش وألوان الزيت، وكان بها شخصان أولهما

رسّام شابّ ملتح أدار رأسه عند دخولهما وقال: مرحباً دافيد، هل جئت معك بصديقة؟

ولاحظت السيدة أوليفر أن ذلك الشاب أقذر مخلوق رأته في حياتها، كان شعره الأسود الأشعث يتهدل فوق وجهه وقفاه، وكان وجهه ملوَّثاً بالتراب وألوان الزيت، وأما الشخص الثاني فكان فتاة يرسمها ذلك الشاب وكانت جالسة على كرسي من الخشب أمام الرسام، وعرفتها السيدة أوليفر من النظرة الأولى، كانت فرانسيس كاري زميلة نورما وكلوديا في الشقة رقم ٦٧.

قال دافيد للسيدة أوليفر: هذا هو الرسام العبقري بيتر، وهذه الفتاة الدميمة هي فرانسيس كاري.

فقالت فرانسيس: أغلق فمك.

فقالت السيدة أوليفر تخاطب فرانسيس: أعتقد أنني أعرفك، أنا واثقة أنني رأيتك مؤخَّراً.

قالت فرانسيس: أنت السيدة أوليفر، أليس كذلك؟

قال دافيد: هذا ما تزعمه، زعم حقيقي، أليس كذلك؟

واستمرت السيدة أوليفر تقول: تُرى أين قابلتك يا سيدة كاري؟ في حفل؟ لا، دعيني أتذكر، آه، لقد قابلتك في ضاحية بورودين.

فتحركت فرانسيس في جلستها فصاح بيتر العبقري: لماذا تحركت؟ لقد أفسدت وضع الرسم.

فقالت فرانسيس: لا، يكفي هذا، لقد كان وضعاً مرهقاً وأكتافي تؤلمني جداً.

قالت السيدة أوليفر: لقد كنت أقوم بتجارب في تعقب الأشخاص واكتشفت أن الأمر أصعب مما كنت أتصور. هل هذا مرسم؟

فقال بيتر: هذا ما آلت إليه حال العباقرة مؤخَّراً.

قال دافيد: وهو يضمّ كل ما نرغب فيه.

وبعد قليل استأذنت السيدة أوليفر في الانصراف، فأوضح لها دافيد كيف تصل إلى شارع الحافلات ثم قال: وهناك يمكنك ركوب حافلة أو سيارة أجرة إذا شئت.

فقالت السيدة أوليفر: سوف أركب سيارة أجرة لأن قدمَيّ مرهَقتان. شكراً لك لأنك لم تغضب من مطاردتي لك.

قال دافيد: دعيك من هذا، والآن سيري يساراً ثم يميناً ثم يساراً، حتى تصلي إلى النهر، وامشي في محاذاته ثم انعطفي إلى اليمين.

سارت السيدة أوليفر في طريقها وهي تشعر من جديد بذلك الخوف الغريب يعاودها، فنظرت خلفها فرأت دافيد واقفاً في أعلى الدرَج يراقبها، وهزّت رأسها ثم سارت بحماسة وهي تحدث نفسها: يا لهم من شبان ظرفاء وادعين. والآن يساراً هنا ثم يميناً بعد ذلك، هل أنعطف إلى اليمين؟ لا، إلى اليسار، يا إلهي! ما أشد ما تؤلمني قدماي.

استمرت السيدة أوليفر تسير دون أن تبدو لها معالم النهر وخطر لها أنها أخطأت الطريق، وقالت لنفسها: لا بد أنني سوف أصل إلى مكان ما حالاً، سواء كان النهر أو أي شارع من

الشوارع المعروفة.

وفجأة ظهر النهر ولمحت مياهه المتلألئة تحت ضوء الشمس، فأسرعت تحثّ خطاها نحو النهر، وفجأة سمعت وقع خطوات خلفها وشعرت بأن هذه الخطوات تطاردها فنظرت خلفها، ولكن الأوان كان قد فات؛ فقد هوت على رأسها ضربة شديدة أفقدتها الوعي في الحال وسقطت على الأرض فاقدة الرشد.

* * *

-١٢-

قال لها صوت بلهجة آمرة: اشربي هذا.

فتحت نورما عينيها عندما سمعت ذلك الصوت، وبدت في عينيها نظرة ذاهلة، ثم انكمشت من جديد في مقعدها وهي ترتجف، فعاد الصوت الآمر يقول: اشربي هذا.

تناولت الكوب، وشربت السائل وهي لا تشعر بما تفعل ثم قالت: أهذا شراب منشّط؟

قال الصوت: إنه منعش وسيعيد إليك قواك بعد لحظات.

وبدأت نورما تشعر بتحسّن وبقواها المضعضعة تعود إليها، وبدأت الحُمرة تتسلل إلى خدَّيها وكفّ جسمها عن الارتجاف وبدأت تنظر حولها وترى لأول مرة الأشياء المحيطة بها، وجدت نفسها في حجرة متوسطة وشعرت شعوراً مبهَماً بأن هذه الحجرة ليست غريبة عنها، ورأت مكتبة وأريكة ومقعداً وبعض آلات طبية على منضدة قريبة، ثم رأت الرجل الذي أعطاها الشراب، كان في نحو الثلاثين من عمره ذا شعر أحمر ووجه أقرب إلى الدمامة، وأومأ لها الرجل مطمْئناً ثم قال: هل أنت أحسن حالاً الآن؟

أجابت: أعتقد أنني... هل أنت... ماذا حدث؟

سألها: ألا تتذكرين؟

أجابت: أذكر في غموض زحام الناس في الشارع والسيارات و... لقد صدمَتني سيارة.

فهز رأسه وقال: لا، لم تصدمك سيارة، لقد أنقذتك منها.

- أنت؟

- نعم، أنا، لقد رأيتك فجأة في وسط الشارع والسيارات حولك، فأسرعت وانتزعتك من بينها. ما الذي جعلك تلقين بنفسك وسط السيارات هكذا؟

- لا أذكر، لعلني كنت أفكر في شيء ما.

- كانت هناك سيارة جاغوار قادمة نحوك بأقصى سرعة، وكانت حافلة قادمة من الناحية المضادة. هل كانت الجاغوار تتعمد القضاء عليك؟

- لا، بكل تأكيد لا، أعني...

- إذن هل كان الأمر متعمَّداً؟

- كيف يكون الأمر متعمَّداً؟

- لقد بدا كأنك تحاولين الانتحار، فهل كنت تحاولين؟

- طبعاً لا.

وابتسم وقال: هذه على كل حال طريقة حمقاء للانتحار. والآن لا بد أنك تذكرين أي شيء.

أخذ جسمها يرتجف وقالت بعصبية: لقد ظننت... ظننت أن الأمر سوف ينتهي، ظننت...

قال: إذن كنت تحاولين الانتحار. لماذا؟ أخبريني.

- ولكن، كيف جئت بي إلى هنا؟

- أحضرتك في سيارة أجرة، كنت فاقدة الوعي وعلى وشك الموت رعباً وذهولاً، سألتك عن عنوانك ولكنك نظرت إليّ وكأنك لا تفهمين ما أقول، وبدأ أفراد الجمهور يتجمعون فاستوقفت سيارة أجرة وأحضرتك إلى هنا.

فنظرت نورما حولها وسألته: هل هذه عيادة جراحية؟

فأجاب باسماً: هذه حجرة استشارة في عيادة طبيب، وأنا طبيب واسمي ستيلينغفليت.

فصاحت: لا أريد أن يراني طبيب، لا أريد أن أتكلم مع طبيب، لا أريد، لا أريد!

- تمالكي نفسك بالله عليك، اهدئي. لقد كنت تتحدثين مع طبيب منذ عشر دقائق، ما عيب الطبيب في نظرك؟

- أنا خائفة، خائفة مما يقوله الطبيب.

- اهدئي، فأنت لم تحضري لاستشارتي. اعتبريني مجرد عابر سبيل فضولي أقحم نفسه وأنت بين أحضان الجاغوار وأنقذك من الموت، أو على الأقل من الخروج من الحادث بذراع مكسورة أو ساق مبتورة أو عاهة دائمة تلازمك مدى الحياة، ولا تنسي أنه إذا عرف الناس أنك حاولت الانتحار فسوف تقعين تحت طائلة القانون. ها أنت ترين أنني صريح

معك، وفي مقابل ذلك عليك أن تخبريني بسر خوفك من الأطباء. ما الذي فعله بك الأطباء قبل ذلك؟

أجابت: لا شيء، لم يفعل بي أحدٌ شيئاً ولكني أخاف أن... أن يحتجزوني.

رفع دكتور ستيلينغفليت حاجبيه وقال: يبدو أن عندك أفكاراً غريبة عن الأطباء! ما الذي يدفعني إلى حجزك؟ اسمعي، هل لك في كوب من الشاي أم تفضلين مشروباً كحولياً؟ هذا ما يعجب الشابات اللاتي في مثل سنك... أنت تشربين كثيراً، أليس كذلك؟

هتفت: لا، لا، هذا غير صحيح.

قال: أنا لا أصدقك، على العموم لِم أنت منزعجة هكذا؟ أنت لست مجنونة، وتأكدي أن الأطباء ليسوا شغوفين بحجز الناس؛ فمستشفيات المجانين مليئة وفيها ما يزيد عن حاجتها ومن الصعب جداً العثور على مكان خالٍ فيها، بل الواقع أنهم بدؤوا أخيراً يسرّحون الكثيرين وهم نصف عقلاء. لقد أصبح كل مكان مزدحماً. والآن ماذا تفضّلين حقاً؟ مشروباً قوياً أم قطعة مخدرات أم فنجان شاي على الطراز الإنكليزي التقليدي؟

فقالت بتردد: أفضّل الشاي.

فسار إلى الباب وفتحه وصاح: آني، كوبين من الشاي من فضلك.

ثم أغلق الباب وعاد وجلس بالقرب من نورما وسألها: بالمناسبة، ما اسمك؟

أجابت: نورما ريس...

ثم توقفت وقالت: نورما ويست.

قال: حسناً، اسمعي يا آنسة ويست، يجب أن يكون واضحاً لك أنني لا أعالجك؛ فأنت لم تأتي لاستشارتي. أنت ضحية حادث تصادم، هكذا سوف نَصِف الحادث، وأعتقد أنك ما كنت ترحبين بأن يصفه الناس بأنه محاولة انتحار.

قالت: لقد فكرت في إلقاء نفسي من فوق جسر.

قال: حقاً؟ ولكن هذا ليس سهلاً دائماً؛ فقد كنت ستُضطرين إلى تسلّق حافة الجسر فيراك شخص ما فيمنعك من القفز. لنعُد إلى ما كنا فيه: لقد أحضرتك إلى عيادتي لأنك كنت ذاهلة عن نفسك وعاجزة عن ذكر عنوانك، ولكن ما عنوانك؟

- ليس لي عنوان، أنا لا أقيم في مكان معيَّن.

- هذا بديع، هذا ما يسميه رجال الشرطة «بلا إقامة معروفة». ماذا تفعلين؟ هل تجلسين في الشارع ليلَ نهار؟

نظرت إليه بارتياب فقال: كان في إمكاني إبلاغ الشرطة بالحادث، ولكني فضّلت أن أتصور أنك عبرت الشارع دون تفكير.

قالت نورما فجأة: أنت لا تبدو كالأطباء.

قال: حقاً؟ على العموم لقد بدأ أملي يخيب في الطب في إنكلترا، والواقع أنني بصدد تصفية أعمالي والهجرة إلى أستراليا

في خلال أسبوعين، ولذلك لا يجب أن تخافي منّي وتستطيعين أن تخبريني بأنك رأيت فيلاً أحمر اللون يخرج من الحائط أو أيّ هذيان من هذا النوع، ولن أفعل أي شيء بخصوص حالتك فأنت تبدين عاقلة جداً.

قالت: لا أعتقد أنني عاقلة.

قال الدكتور ستيلينغفليت: قد تكونين على صواب. دعيني أسمع الأسباب التي تدعوك إلى هذا التصور.

قالت: أنا أنسى باستمرار... أفعل أشياء ثم أنسى أنني فعلتها، أحدّث الناس عن أشياء فعلتها وأنسى أنني قلت أيّ شيء، ثم أنا أكره...

وفي تلك اللحظة ارتفعت دقّات على الباب ثم دخلت امرأة متقدمة في السن تحمل صينية الشاي فوضعتها ثم خرجت، وسألها ستيلينغفليت: كم قطعة من السكر؟

أجابت: أربع قطع.

فوضع السكر في الشاي وقال: أنت فتاة ذكية؛ فالسكر الكثير مفيد دائماً في حالة الصدمات.

ثم قدّم إليها كوب الشاي وقال: والآن فيمَ كنا نتحدث؟ في الكراهية، ماذا تقصدين بهذه الكلمة؟

أجابت: هل من الممكن أن يكره الإنسان شخصاً لدرجة أن يتمنى حقاً أن يراه ميّتاً؟

أجابت ستيلينغفليت بمرح: طبعاً، ممكن جداً، بل الواقع

أنه طبيعي جداً. ولكن مهما بلغت درجة الكراهية فإنها لا تسبب الموت؛ فالجسم البشري يحتاج لأسلحة أقوى قليلاً من الكراهية لكي يموت.

- أنت تجعل الأمر يبدو عادياً تافهاً.

قال:هو حقاً عادي جداً، والأطفال يشعرون بذلك دائماً، فعندما يفقدون صبرهم مع ذويهم تجدينهم يقولون للأب أو للأم: "أنا أكرهك، أكرهك، أتمنى أن تموت أو أن تموتي"... ولما كانت الأمهات -عادة- عاقلات فإن هذا الكلام لا يؤثر فيهنّ، وكذلك الآباء. ولكن يحسن بك أن تخبريني بمشكلتك بالتفصيل. مَن الشخص الذي تكرهينه؟ ولماذا تكرهينه؟ وماذا تتمنّين له؟

- الحب قد ينقلب إلى كراهية أحياناً.

- يبدو هذا كمطلع أغنية عاطفية، ولكن تذكّري أن الكراهية قد تنقلب إلى حب أيضاً. مَن الذي تكرهينه؟ شاب أو صديق لك؟

- لا، لا، زوجة أبي هي التي أكرهها.

- زوجة الأب الشريرة! ولكن هذا سخف في مثل سنك؛ فأنت تستطيعين الابتعاد عن زوجة الأب. ولكن ما الذي فعلته معك باستثناء زواجها بأبيك؟ هل تكرهين أباك أيضاً أم أنك تحبينه وتغارين عليه وتكرهين زوجته التي تشاركك فيه؟

- ليس الأمر كذلك أبداً. لقد كنت أحبه كثيراً، لقد كان رائعاً.

قال ستيلينغفليت: اسمعي نصيحتي الآن، سوف أقترح عليك أمراً وأريدك أن تنفذيه. هل ترين ذلك الباب؟

فأدارت نورما رأسها ونظرت إلى الباب متحيّرة فقال: هذا باب عاديّ جداً، أليس كذلك؟ هو ليس مغلقاً، وهو يُغلق ويُفتح بطريقة عادية، فاذهبي وتأكدي بنفسك. خادمتي آني تدخل منه وتخرج منه، أليس كذلك؟ هذا ليس وهماً، والآن هيا، انهضي وافعلي ما آمرك به.

قامت نورما وسارت بتردد حتى وصلت إلى الباب ثم فتحته ووقفت تنظر إلى ستيلينغفليت باستفهام، فقال لها: ماذا ترين الآن؟ صالة عادية جداً. لعلها تحتاج إلى مزيد من الديكور ولكن ذلك لا يهم الآن حيث إنني مسافر إلى أستراليا، والآن اذهبي إلى باب الشقة وافتحيه، واخرجي بعد ذلك إلى الشارع وتمشي قليلاً لتتأكدي من أنك حرة تماماً في أن تغادري هذه الشقة في أي وقت وأنه ليس عندي أية نية لحجزك، وعندما تتأكدين تماماً من حريتك عودي إلى هنا واجلسي على هذا الكرسي وأخبريني بقصتك كلها، وعند ذلك سوف أدلي إليك برأيي القيّم. وطبعاً أنت لستِ مُرغَمة على العمل به؛ فالناس يكرهون النصائح دائماً، ولكني سوف أقدم لك نصيحتي ورأيي. ما رأيك؟ هل أنتِ موافقة؟

خرجت نورما من الحجرة إلى الصالة وفتحت باب الشقة ثم سارت حتى وصلت إلى الشارع، وقفت لحظة في الطريق وهي لا تدري أن الدكتور ستيلينغفليت يراقبها من خلف ستائر حجرته، وبعد لحظات قليلة عادت نورما إلى الشقة فأغلقت الباب خلفها، ثم عبرت الصالة ودخلت إلى حجرة الاستشارة

مرة أخرى فسألها: هل أنت مطمئنة الآن إلى أنني لا أخدعك؟

أومأت برأسها إيجاباً فقال: والآن اجلسي في هذا المقعد واستريحي تماماً. هل تدخنين؟

أجابت: لا، لا.

قال: هل تتعاطين المخدرات؟

قالت: طبعاً لا، أنا لا أتعاطى أيّ شيء.

قال: أنا على استعداد لتصديقك. والآن حدّثيني عن نفسك وعن ظروف حياتك. أين وُلدتِ؟ وهل نشأت في الريف أم في المدينة؟ وهل لك إخوة أم أنك ابنة وحيدة؟ عندما ماتت أمك هل تألمت كثيراً لموتها؟ وماذا حدث بعد أن ماتت أمك؟

أجابت: كانت أمي عاجزة عن الحركة لسنوات طويلة، وكانت تقضي أوقاتاً طويلة في المستشفيات، وكنت أعيش مع خالتي، وهي ليست خالتي في الحقيقة، بل هي ابنة خالة أمي، وعندما عاد أبي إلى إنكلترا منذ ستة شهور كان ذلك مفاجأة رائعة. ولم أكد أعرفه في بادئ الأمر؛ فقد غادر البلاد عندما كنت في الخامسة من عمري، ولم يهجر تلك المرأة الأخرى ليعود إلينا.

- المرأة الأخرى؟

- نعم، لقد هجر أمي مع امرأة أخرى، امرأة شريرة كما كانت تصفها أمي، وكانت إذا ذكرتها تحدثت عنها بمرارة شديدة، وكذلك عن أبي. ولكني كنت أشعر دائماً في أعماقي بأن أبي ليس شريراً كما تصفه أمي وأن الذنب ليس ذنبه وإنما

ذنب تلك المرأة.

سألها: هل تزوجا؟

أجابت: لم يتزوجا لأن أمي رفضت أن تمنحه الطلاق.

- إذن لم تتخلّ أمك عن حقدها عليه قط؟

- أعتقد أن حقدها كان دائماً منصبّاً على لويز.

- لويز؟ مَن لويز؟

أجابت بعصبية: لقد أخبرتك أنني لا أذكر أيّ أسماء.

- حسناً، تمالكي نفسك، أنت تقصدين تلك المرأة التي هجر أبوك أمك من أجلها.

- نعم، لقد قالت أمي عنها إنها كانت تتعاطى المخدرات وتسرف في شرب الخمور، وإنها سوف تنتهي نهاية بشعة.

- ولكنك لا تعرفين شيئاً عن نهايتها.

فعاودها الانفعال من جديد وقالت: لا أدري شيئاً، أرجو أن تكفّ عن إلقاء الأسئلة! أنا لا أعلم شيئاً عن هذه المرأة، لم أسمع عنها قط، لقد نسيتها ولم أذكرها إلا عندما تحدثت أنت عنها الآن، أنا لا أعلم شيئاً.

قال الدكتور ستيلينغفليت: حسناً، حسناً، لا تزعجي نفسك؛ لا داعي للتألم من أجل ماضٍ بعيد. دعينا نفكر في المستقبل. ما مشروعاتك القادمة؟

تنهدت نورما بألم شديد وقالت: لا أدري، ليس لي مكان

أذهب إليه وليس لي أحد، من المؤكد أنه من الأفضل أن تنتهي حياتي الآن، لولا...

قال: لولا أنك لا تجرئين على تكرار محاولة الانتحار، أليس كذلك؟ هذا سيكون حماقة كبرى في الواقع. والآن ليس لك أحد وليس لك مكان ولا تثقين في أيّ إنسان، حسناً، لا ضرورة لأن يعثروا عليك، سوف أعمل على ذلك فاطمئني. هناك مكان اسمه كينوي كورت، مكان هادئ يذهب إليه الناس للاستجمام، مكان ليس فيه أطباء ولا أرائك لترديد الأحلام ولا أحد يحجزك من غير إرادتك، في استطاعتك أن تغادريه في أي وقت تشائين وتستطيعين فيه تناول الفطور في الفراش والبقاء في الفراش طوال اليوم إذا شئت.

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: استريحي كما تشائين وسوف أزورك يوماً لنتحدث معاً ونحل بعض مشكلاتك معاً، هل يناسبك هذا؟ هل ترغبين في الأمر؟

فنظرت إليه نورما طويلاً دون أن يبدو على وجهها أي تعبير، ثم شيئاً فشيئاً أخذت تومئ برأسها بالموافقة.

* * *

بعد ساعات من هذا اللقاء تناول الدكتور ستيلينغفليت سماعة الهاتف وأدار رقماً ثم قال لمحدثه: لقد كان اختطافاً سهلاً للغاية. إنها في كينوي كورت الآن، وقد ذهبت معي مثل الحمَل الوديع. لا أستطيع أن أخبرك بالكثير الآن فهي تحت تأثير كمية هائلة من العقاقير المخدرة، لقد كانت تحت هذا كله منذ فترة طويلة، وإن كانت تُنكر ذلك ولكنني لا أثق في أقوالها.

وأصغى إلى إجابة محدثه لحظة ثم قال: لا تسأل ذلك، يجب أن أكون حذراً جداً؛ فهي تضطرب بسهولة شديدة وفي حالة خوف شديد من شيء ما، ولست أدري بعد ولا أستطيع تحديد ذلك، تذكّر أن مدمني المخدرات لا يمكن الوثوق بهم ولا تصديق كلامهم... لا، فأنا لا أريد إخافتها، أنا أعتقد أنها كانت مصابة بعقدة «عبادة الأب» في طفولتها، وأعتقد أنها لم تحب أمها وأن أمها من النوع العصبي الذي يتصور أصحابه أنهم شهداء، وأعتقد أن الأب كان رجلاً مرحاً ولم يستطع أن يحتمل استشهاد زوجته مدى الحياة فهجرها.

صمت برهة ثم سأل محدثه: هل يعني اسم لويز شيئاً لديك؟ لقد أفزعها الاسم كثيراً، لقد كانت أول عدوة لها في حياتها؛ فلقد انتزعت أباها منها في طفولتها، والأطفال لا يدركون الكثير وهم في الخامسة من عمرهم ولكنهم يشعرون بالكثير. هي لم ترَ والدها إلا منذ ستة شهور، وأعتقد أنها كانت تبني قصوراً جميلة تعيش فيها مع والدها حيث تكون قرّة عينه، ولكن القصور تهاوت؛ فقد عاد الأب ومعه زوجة جديدة، زوجة شابة جميلة، وأعتقد أن لويز ليس اسم هذه الزوجة، أليس كذلك؟ حسناً، لقد أردت أن أسأل فقط. إن ما أعطيه لك الآن هو الملامح العامة للصورة.

ثم قال وكأنه قد تذكر شيئاً نسيه: بالمناسبة، هناك حقيقة صغيرة قد تهمك، لقد حاولت الفتاة أن تقتل نفسها هذا الصباح، فهل يدهشك هذا؟ أرى أنه لا يدهشك. ماذا؟ لا، لم تبتلع زجاجة من الأسبيرين ولم تضع رأسها في فرن الغاز، بل أسرعت إلى وسط الشارع في أثناء سير العربات ثم حشرت

نفسها في طريق سيارة جاغوار فأنقذتها في آخر لحظة. نعم، لقد كان انفعالاً صادقاً ولم تكن محاولة مفتعَلة، واعترفَت هي بذلك مستعملة الجملة التقليدية: "لقد أردت التخلص من حياتي".

أصغى ستيلينغفليت بعد ذلك إلى بعض الجمل المتتابعة من محدثه ثم قال: لا أدري، في هذه المرحلة لا يمكنني التأكد؛ فالصورة التي أراها واضحة، فتاة عصبية تعاني من تأثير تناول كمية هائلة من مختلف حبوب المخدرات، ولا أستطيع تحديد نوعها بالضبط، فهناك عشرات من هذه العقاقير في السوق ومعظمها يسبب فقدان الذاكرة والتخبّط والتهوّر العدوانيّ. المشكلة هي تمييز التصرف الطبيعي عن التصرف الناشئ من تأثير العقاقير؛ فهذه الفتاة يمكن أن تكون متظاهرة بأنها ضحية للعقاقير، ومن الجائز جداً أنها تمثل دوراً لغرض في نفسها محاولةً إعطاء صورة مغايرة تماماً لحقيقتها. أنا في كل لحظة أكتشف شيئاً مغايراً للصورة التي أخذتها عنها! هل هي ممثلة بارعة أم هي فريسة للعقاقير؟ كِلا الأمرين جائز.

أصغى ثم أجاب محدثه: إنها في كينوي كورت الآن، وأعتقد أنها سوف تبقى هناك، ومن الأفضل أن تكلّف شخصاً بمراقبة كينوي كورت ليراقبها إذا حاولت الهرب.

* * *

-١٣-

كان السيد أندرو ريستاريك جالساً إلى مكتبه يوقّع شيكاً وعلى وجهه علامات الامتعاض، وكانت حجرة مكتبه واسعة يجمع أثاثها بين الفخامة والراحة، وكان الذي أثّثَ الحجرة في الماضي هو سيمون ريستاريك، وعندما استقر فيها أندرو لم يغيّر فيها شيئاً واستمر يباشر أعماله منها، ولم يغير فيها شيئاً باستثناء أن نزع لوحتين من الحائط ووضع بدلاً منهما لوحة تمثّله هو أحضرها من منزله في الريف.

كان أندرو ريستاريك رجلاً في متوسط العمر يميل إلى البدانة، ومع ذلك فرغم مرور خمسة عشر عاماً على رسم اللوحة التي تمثله والموضوعة في حجرة مكتبه فإن شكله لم يكد يتغير عن شكله في اللوحة، كانت ما تزال له تلك الذقن البارزة والشفتان الملتصقتان بحدة والحاجبان المرتفعان، ولم يكن مظهره يختلف عن مظهر أيّ رجل في مثل سنه، وكان في تلك اللحظة يشعر بالتعاسة.

دخلت سكرتيرته الحجرة واقتربت من مكتبه وقالت له: يوجد شخص اسمه السيد هيركيول بوارو يطلب مقابلتك، وهو يصرّ على أنه على موعد معك مع أنني لم أهتدِ إلى ذلك الموعد

في مفكرة المواعيد.

فقال ريستاريك مفكراً: السيد هيركيول بوارو؟ أنا لا أذكر شيئاً عن هذا الشخص، ولو أن الاسم لا يبدو غريباً بالنسبة لي. ما شكله؟

- ضئيل الحجم يبدو أجنبياً أو فرنسياً في ما أعتقد، وله شوارب ضخمة الحجم وشكله في مجموعه مضحك.

فصاح ريستاريك: طبعاً، طبعاً، تذكرت الآن؛ لقد وصفته ماري لي، فقد جاء إلى منزلنا ليقابل السيد رودريك. ولكن ماذا يقصد بقوله إن لديه موعداً معي؟

- يقول إنك كتبت له خطاباً.

فهزّ ريستاريك رأسه وقال: لا أذكر شيئاً عن ذلك، لعل ماري كتبت له. حسناً، دعيه يدخل، فلعل من الأفضل أن أسمع ما لديه.

وخرجت السكرتيرة كلوديا هولاند، وبعد لحظات عادت وبصحبتها بوارو وقالت: السيد هيركيول بوارو.

ثم غادرت الحجرة وتقدم بوارو نحو المكتب فنهض ريستاريك قائلاً: أهلاً بك يا سيد بوارو، أخبرتني زوجتي أنك زرت منزلنا في الريف. ماذا في استطاعتي أن أفعله من أجلك؟

فأجاب بوارو: لقد حضرت بناء على خطابك.

فقال ريستاريك: ولكني لم أكتب لك أيّ خطاب.

فنظر إليه بوارو لحظة، ثم أخرج من جيبه مظروفاً ثم فتحه وأخرج منه خطاباً قدمه لريستاريك فتناوله وحدق إليه. لقد كان الخطاب مكتوباً بالآلة الكاتبة على نفس الورق المستعمل في مكتبه، وكان عليه توقيعه بالحبر في أسفل الخطاب، وقرأ في الخطاب: "عزيزي السيد بوارو، أكون ممنوناً جداً لو تفضلت بزيارتي في أسرع وقت ممكن. لقد فهمت من زوجتي ومما سمعته عنك ومن نتيجة تحرياتي أنك رجل كتوم يمكن الاعتماد عليه عند تكليفه بمهمة. المخلص أندرو ريستاريك."

فصاح ريستاريك بعد أن قرأ الخطاب: متى تسلمت هذا الخطاب؟

- هذا الصباح، ولما لم أكُن مشغولاً اليوم فقد جئت لزيارتك.

- هذا شيء عجيب جداً، أنا لم أكتب هذا الخطاب ولم أرسله لك، وهذا التوقيع مزوَّر ومختلف تماماً عن توقيعي. انظر، ها هو ذا توقيعي.

ثم قدم الشيك الذي وقّعه قبل دخول بوارو وقال: هذا هو توقيعي الحقيقي، وهو يختلف تماماً عن التوقيع في هذا الخطاب كما ترى.

- هذا أمر عجيب حقاً! تُرى من بعث إليّ بهذا الخطاب؟ أمن الجائز أن تكون زوجتك هي التي أرسلته؟

- لا، لا، ماري لا تفعل شيئاً مثل هذا أبداً. وعلى فرض أنها هي التي فعلت فلماذا تزوّر توقيعي؟ هذا مستحيل.

- أليس عندك فكرة على الإطلاق عمن يكون قد أرسل هذا الخطاب؟

- نعم، ليس عندي فكرة على الإطلاق.

- وليس عندك أيّ فكرة عن هذه المهمة المفروض منّي أن أقوم بها بناء على هذا الخطاب؟

- وكيف لي أن أعرف شيئاً لم أكتبه؟

قال بوارو: هناك ملحوظة في نهاية الخطاب أرجو أن تقرأها.

فقرأ ريستاريك الملحوظة التالية: «المهمة التي أرغب في تكليفك بها تتعلق بابنتي نورما».

اكفهرّ وجه ريستاريك وصاح: إذن المسألة هكذا، ولكن مَن يعرف؟ من يعرف أي شيء؟

قال بوارو: لعلها رغبة من شخص ما في أن يجعلك تستعين بي، ألا تدري حقاً مَن مرسل هذا الخطاب؟

- أنا لا أدري أي شيء.

فقال بوارو: وأنت ألست منزعجاً بخصوص ابنة لك اسمها نورما؟

أجاب ريستاريك ببطء: لي ابنة اسمها نورما، هي ابنتي الوحيدة.

- هل تعاني بعض المتاعب؟

- لا أدري حقاً.

مال بوارو بوجهه نحو ريستاريك وقال: أعتقد يا سيد ريستاريك أن ابنتك نورما تعاني بعض المتاعب.

سأله ريستاريك: وما الذي يدعوك إلى هذا الظن؟ هل حدّثك أحد في هذا الموضوع؟

هزّ بوارو رأسه ثم قال: معظم فتيات هذا الجيل عندهن موهبة الوقوع في المتاعب، ولعل هذا هو ما حدث مع ابنتك.

فصمت ريستاريك لحظة وهو ينقر بأصابعه على المكتب ثم قال أخيراً: نعم، أنا منزعج بشأن ابنتي نورما؛ فهي فتاة صعبة المراس عصبية جداً، وأنا في الحقيقة لا أفهمها.

- لعلها في متاعب بشأن صديق شابّ.

- تقريباً، ولكن ليس ذلك هو كل ما يقلقني. إن ابنتي مفقودة وأريد أن أعثر عليها. لقد جاءت إلى منزلي في عطلة نهاية الأسبوع الماضي كعادتها كل أسبوع، ثم تركت المنزل ليلة الأحد لتعود إلى الشقة التي تعيش فيها مع زميلتين لها في لندن ولكنها لم تصل إلى هذه الشقة، ولا أدري أين ذهبت! لعل هناك سبباً معقولاً لاختفائها، ولكني كأب أجد نفسي منزعجاً حقاً؛ فهي لم تتصل بالهاتف ولم تقُل أيّ شيء لزميلتيها.

- وماذا عن صديقها الذي لا يعجبك؟ هل تعتقد أنها هربت معه؟

هتف الرجل بانزعاج: أدعو الله ألاّ يكون ذلك قد حدث، أعتقد أنك رأيته عندما زرت منزلنا؟

- أجل، إنه شاب وسيم ولكنه ليس النوع الذي يرضى عنه الآباء لبناتهم، وقد لاحظت أن زوجتك لا ترضى عنه أيضاً.

- زوجتي واثقة أنه جاء في ذلك اليوم إلى المنزل ليبعد عنه الشبهة.

- ألا تعتقد أن ابنتك ذهبت إليه من تلقاء نفسها؟

- لا أدري ماذا أعتقد، ولكن هذا لم يخطر لي في البداية.

- ألم تُخطر الشرطة؟

هزّ رأسه نفياً فقال بوارو: في حالة اختفاء شخص ما فإن أفضل شيء هو إخطار الشرطة؛ فرجال الشرطة كتومون.

صاح ريستاريك: أنا لا أريد إخطار الشرطة، فهي ابنتي يا رجل، ألا تفهم؟ ابنتي! وإذا شاءت أن تختفي بعض الوقت فأنا لا أقف في طريقها، ولا داعي للاعتقاد بأنها في خطر، ولكني أريد أن أعرف مكانها إرضاء لنفسي.

- عفواً يا سيد ريستاريك، ولكن أليس من الجائز أن اختفاء ابنتك ليس هو كل ما يزعجك؟

- ما الذي يدعوك إلى الظن بأن هناك شيئاً آخر؟

- ابنتك في فترة حرجة من العمر، وهي التي يسمّونها بالمراهَقة، والتي قد يُقدم فيها الشبان والشابّات على أفعال قد يندمون عليها فيما بعد. هل تكره ابنتُك زوجتَك؟

- مع الأسف هذا صحيح، ولو أنها مخطئة تماماً يا سيد

بوارو؛ فأنا لم أفترق عن أمها التي كانت زوجتي الأولى البارحة، لقد افترقنا منذ سنوات عديدة.

ثم سكت لحظة وأضاف: يحسن بي أن أكون صريحاً معك، وعلى العموم فالأمر لم يكن سراً يوماً ما. لقد كنت على خلاف مع زوجتي الأولى باستمرار، ثم قابلت امرأة أخرى ووقع كل منا في هوى الآخر، فهجرت إنكلترا مع هذه المرأة وذهبنا إلى جنوب إفريقيا، ورفضت زوجتي أن تمنحني الطلاق ولم ألحّ عليها في طلب الطلاق، ولم أتوقف عن الإنفاق عليها وعلى ابنتي التي كانت في الخامسة من عمرها حينئذ.

ثم استطرد قائلاً: وأرى الآن بعد مرور هذه السنوات أنني كنت ضائقاً بالحياة كلها وكنت راغباً في الترحال، وكنت أكره دائماً الاستقرار والعمل في المكاتب في المدينة، وكان أخي سيمون يلومني دائماً لعدم اهتمامي بأمور الشركة التي ورثناها معاً، ولكني كنت أكره ذلك النوع من الحياة. كنت أحلم بالسفر والمغامرات وأحلم بأن أرى العالم وأن أقتحم المناطق المجهولة.

ثم كف ريستاريك عن ذلك الحديث العاطفي وقال: ولكني لن أزعجك بقصة حياتي، لقد ذهبت إلى جنوب إفريقيا ومعي لويز، ولكن حياتنا معاً لم تنجح؛ فقد كرهَت لويز الحياة في جنوب إفريقيا. ورغم تعلق كل منا بالآخر بدأنا نتشاجر، وبدأت لويز تحنّ إلى العودة إلى لندن وإلى حياة المدينة من جديد، وهكذا افترقنا بعد عام واحد من وصولنا إلى جنوب إفريقيا.

ثم تنهد وقال: لعله كان يحسن بي وقتئذ أن أعود إلى إنكلترا وإلى الحياة المملة التي هربت منها، ولكني لم أعُد. لم أعرف ما إذا كانت زوجتي توافق على عودتي إليها أم لا، ولعلها كانت توافق على اعتبار أن هذا هو واجبها، لقد كانت مجنونة بالواجب.

ولاحظ بوارو أن الجملة الأخيرة كانت مفعَمة بالمرارة، ثم قال ريستاريك: كان من المفروض أن أفكر كثيراً في ابنتي نورما، ولكن لعل الذي منعني هو شعوري بالاطمئنان عليها لوجودها مع أمها، وكنت أكتب إليها من وقت لآخر وأرسل إليها الهدايا في أعياد الميلاد، ولكني لم أفكر مرة واحدة في العودة إلى لندن لرؤيتها، ولعل الذي حال أيضاً دون عودتي هو تصوري أن وجودي معها ومع أمها قد يؤثّر على نفسيتها عندما ترى والدها الذي لا يستقر أبداً. على العموم تصورت أنني كنت على صواب في عدم عودتي.

قال بوارو: ولكنك عدت في النهاية.

تنهد ريستاريك وقال: نعم، عدت في النهاية. أنا أتقدم في السن كما ترى، وبجانب ذلك كنت قد وُفّقت مع شريك لي إلى صفقة اقتصادية عظيمة، واحتاجت هذه الصفقة إلى من يُشرف عليها في لندن، وكان في إمكاني الاعتماد في ذلك على أخي سيمون، ولكنه كان قد مات، وكنت ما أزال أشاركه بالنصف في شركتنا، وهكذا بدأت أفكر في العودة والاستقرار في لندن لإنجاح مشروعي من ناحية وللإشراف على شركتنا من ناحية أخرى.

فقال بوارو: لعل زوجتك، أقصد زوجتك الثانية...

- أجل، لقد تزوجت من ماري قبل وفاة أخي سيمون بشهر أو بشهرين. لقد نشأت ماري في جنوب إفريقيا، ولكنها زارت إنكلترا عدة مرات، وكانت ترجو أن تعيش باقي حياتها في إنكلترا، أما أنا فكما ذكرت بدأت للمرة الأولى أفكر في العودة إلى إنكلترا، ثم فكرت في ابنتي نورما أيضاً، وكانت أمها قد ماتت منذ سنتين، وتحدثت مع ماري في الأمر واتفقنا معاً على أن نحتضن نورما، وهكذا بدأ كل شيء يُشير إلى وجوب عودتنا، فعدنا.

نظر بوارو إلى اللوحة المعلقة فوق الحائط والتي سبق له أن رآها في منزل لونغ بيزنغ، وكانت الإضاءة أكثر وضوحاً. كانت الصورة تمثل بكل دقة ذلك الرجل الجالس أمامه إلى المكتب، نفس الملامح المميّزة والذقن البارزة والحواجب الصاعدة، ولكن كان في اللوحة شيء لم يكن موجوداً في الرجل الجالس إلى المكتب، الشباب. وفكر بوارو في شيء آخر: لماذا نقل ريستاريك هذه اللوحة من منزله إلى مكتبه؟ كانت هذه اللوحة مرسومة في نفس الوقت مع اللوحة التي تمثّل الزوجة الأولى، وكان الرسام الذي رسمهما هو لانسبرغر الذي تخصص في رسم الوجوه، وكان من الطبيعي أن تبقى اللوحتان معاً في المنزل، ولكن ريستاريك نقل هذه اللوحة فقط إلى مكتبه، فهل كان ذلك نوعاً من الغرور أم أنه شعر بأنه محتاج لرؤية نفسه باستمرار في المكتب؟

قال ريستاريك: معذرة يا سيد بوارو، يبدو أنني أزعجتك بقصة حياتي.

قال بوارو: لا داعي للاعتذار يا سيد ريستاريك، لقد كنتَ تتحدث عن حياتك فيما له صلة بحياة ابنتك. هل تريد أن تعثر عليها؟

أجاب: نعم.

إذا أردت العثور على ابنتك حقاً فيجب عليك أن تخطر الشرطة، وتأكد أنهم كتومون.

- لن أخطر الشرطة أبداً إلا إذا فقدت كل أمل في العثور عليها.

- لعلك تفضل إذن الاعتماد على مخبر سري خصوصي.

- نعم، وإن كنت لا أدري أيّ شيء عن المخبرين الخصوصيين.

- ماذا تعلم عنّي أنا؟

- أعلم شيئاً قليلاً عنك، أعلم مثلاً أنك اشتركت في المخابرات في الحرب الماضية، هذا شيء يشهد به خالي رودريك.

ولكن بوارو شعر بأن ريستاريك لا يؤمن بذلك تماماً لأن خاله رجل ضعيف الذاكرة والبصر والسمع، فقال بوارو: دعني أؤكد لك أنني رجل ناجح في كل أعمالي، الواقع أنني رجل لا مثيل له.

ولكن لم تبدُ علامات الاقتناع على ريستاريك، والواقع أن أيّ رجل إنكليزي لا يستريح إلى هذه الطريقة التي تدل على

الغرور فسأله: ما شعورك أنت يا سيد بوارو؟ هل تعتقد أنك تستطيع أن تعثر على نورما؟

أجاب: ربما ليس بالسرعة التي تجدها بها الشرطة، ولكني أستطيع أن أعثر عليها، إنما يجب لذلك أن تخبرني بكل التفصيلات.

- ولكني أخبرتك بكل شيء، وأستطيع أن أعطيك أيضاً قائمة بأسماء أصدقائها ومعارفها.

ثم توقف عن الكلام عندما رأى بوارو يهزّ رأسه بعنف قائلاً: لا، لا، أنا أقترح عليك أن تخبرني بالحقيقة، الحقيقة كاملة.

فقال ريستاريك: هل تريد أن تقول أنني لم أخبرك بالحقيقة؟

أجاب بوارو: أنت لم تخبرني بالحقيقة كلها، أنا واثق من ذلك، من الأفضل أن تبوح لي بكل شيء؛ فأنا إذا عرفت ماذا كان يدور في ذهن الفتاة فسوف أتقدم كثيراً في بحثي عنها.

فكر ريستاريك لحظات ثم قال: أرجو أن يظل ما أقوله في الكتمان تماماً يا سيد بوارو، هل تقسم على ذلك؟

قال بوارو: أقسم لك على ذلك، أعطيك كلمة هيركيول بوارو. والآن، ماذا حدث؟ هل حاولت ابنتك شيئاً ضد زوجتك؟ شيئاً أكثر من مجرد الوقاحة الصبيانية والكره الانفعالي، هل هاجمتها مثلاً؟

قال ريستاريك: لا، لا، لم تهاجمها، لم يكن هجوماً

مباشراً، ولكن شيئاً مثل هذا.

- وماذا عن الآلام التي أصابت معدتها؟

- أنت سريع يا سيد بوارو، سريع جداً، نعم، لقد شعرت بآلام في معدتها وكان ذلك شيئاً محيراً لأن زوجتي كانت دائماً تتمتع بصحة ممتازة، وأخيراً أرسلها الأطباء إلى المستشفى لإجراء الفحوصات الطبية.

- والنتيجة؟

- لا شيء، لم يعثر الأطباء على سبب لعلتها، ثم استعادت صحتها بسرعة وعادت إلى المنزل، وعند ذلك عادت الآلام من جديد، وبدأنا بفحص كل طعام تتناوله، وبدا أنها تعاني من تسمّم بطيء دون أيّ سبب واضح، وبدأنا نحلّل الأطباق التي كانت تأكلها، وفي النهاية اتضح لنا وجود سم فعلاً في أطباقها، في الأصناف التي كانت تأكل منها بمفردها.

- أي أن شخصاً كان يضع لها الزرنيخ بالتدريج في طعامها، أليس كذلك؟

- بلى، كميات ضئيلة جداً، ولكنها تكفي في النهاية لموتها.

- أعتقد أن شبهاتك اتجهت إلى ابنتك، وإلا فمن له أيّ مصلحة في موت زوجتك؟

فتنهد ريستاريك ثم قال: بصراحة نعم.

* * *

عندما عاد بوارو إلى منزله وجد خادمه الخاص ينتظره، وقال له: لقد اتصلت بك امرأة اسمها أديث يا سيدي.

فقال بوارو مفكراً: أديث؟

قال جورج: أعتقد أنها وصيفة السيدة أوليفر، لقد طلبت منّي أن أخبرك بأن السيدة أوليفر موجودة في مستشفى سينت جايلز.

هتف بوارو: ماذا حدث لها؟

- أعتقد أنها كانت ضحية هجوم عنيف، وقد طلبت إبلاغك يا سيدي بأنك أنت المَلوم فيما حدث لها.

قال بوارو: لقد حذرتُها، لقد شعرت بالقلق بالأمس عندما طلبتها هاتفياً ولم أجدها. يا للنساء!

* * *

عندما فتحت السيدة أوليفر عينيها وبدأت ترى ما حولها بوضوح أكثر رأت نفسها نائمة في سرير من أسرّة المستشفيات، فأدركت أنها ليست في منزلها، ثم رأت ممرضة تقف بجوار الباب وراهبة بجوار السرير، ورأت شخصاً رابعاً فابتسمت وقالت: لا أحد يخطئ في التعرف على صاحب هذه الشوارب، ماذا تفعل هنا يا سيد بوارو؟

فاقترب بوارو من الفراش وقال: لقد رجوتك أن تكوني على حذر يا صديقتي.

قالت: كل إنسان معرَّض لأن يضل الطريق.

ثم تأوهت: كم يؤلمني رأسي!

- ذلك بسبب الضربة التي أصابته.

وبهدوء راحت تروي له بإيجاز ما حدث لها منذ شرعت في مطاردة دافيد بيكر، وما إن فرغت من روايتها حتى هتف بوارو: هل دافيد بيكر هو الذي اعتدى عليك؟ هل رأيتِه؟

أجابت: لم أرَه، كل ما حدث أنني سمعت وقع خطوات خلفي، وقبل أن أستدير شعرت كأن جبلاً هائلاً قد سقط فوق رأسي.

ثم أغمضت السيدة أوليفر عينيها وبدا عليها أنها راحت في الحال في غيبوبة سعيدة.

* * *

-١٤-

دق بوارو الجرس بعد عودته من زيارة السيدة أوليفر في المستشفى، ولكن الذي فتح له الباب لم يكن جورج وإنما سكرتيرته النشيطة الآنسة ليمون التي همست له وهي تساعده في خلع معطفه بأن السيد غوبي ينتظره في قاعة الاستقبال.

لحق بوارو بالسيد غوبي في حجرة الاستقبال، وهناك أخرج غوبي من جيبه مفكرة المعلومات وفتحها بحذر ثم قال: هذه هي المعلومات التي تهمّك يا سيد بوارو. عائلة ريستاريك عائلة محترمة لم تحدث فيها فضائح قط، الأب جيمس باتريك ريستاريك كان معروفاً بالصلابة في المعاملات، ومنذ ثلاثة أجيال والعائلة منغمسة في الأعمال التجارية، الجد جوشوا ريستاريك هو الذي بدأ هذه الأعمال ثم توسّع فيها الأب، وأخيراً نجح سيمون في أن يجعل الشركة تستمر حتى مات منذ عام تقريباً.

ثم توقف لحظة وعاد يستطرد قائلاً: أما الأخ الأصغر أندرو فبعد أن انتهى من دراسته في أكسفورد تزوج غريس بالدوين، وأسفر الزواج عن ابنة وحيدة هي نورما، ثم هجر الزوج زوجته وهاجر إلى جنوب إفريقيا مصطحباً معه صاحبته

الآنسة بيريل، ولم يحدث طلاق بينه وبين زوجته التي ماتت منذ عامين ونصف، وكانت نورما تعيش في القسم الداخلي بمدرسة ميدوفيلد للبنات.

وقلب غوبي صفحة جديدة من مفكرة المعلومات ثم شرع يقرأ: دافيد بيكر، اتُّهم مرتين في جريمة إجهاض، والشرطة تعرف عنه الكثير، حامت حوله الشبهات في جريمة سرقة لوحات فنية ولكن لا دليل، يفضّل أن يعيش على حساب الفتيات وعلى حساب آبائهن أيضاً، وهو شاب سيئ السيرة والسلوك ولكنه من الذكاء بحيث لا يمكن الإمساك به في شيء.

سأله بوارو: هل تعتقد أنه يمكن أن يلجأ إلى العنف في مهاجمته لشخص ما؟

- لم يتهمه أحد بمثل ذلك من قبل، وليس هناك ما يدعوه إلى أن يلجأ إلى العنف؛ فهو يمارس الجرائم التي تتسم بالذكاء لا العنف.

- أوافقك على ذلك، ولكن من الممكن أيضاً شراؤه أليس كذلك؟

- بلى، بكل تأكيد.

فأومأ بوارو برأسه وهو يتذكر صورة رآها في نفس اليوم، صورة أندرو ريستاريك وهو يريه شيكاً عليه توقيعه. لم يقرأ بوارو التوقيع فقط، بل قرأ أيضاً اسم الشخص الذي كُتب الشيك لمصلحته، كان الاسم هو دافيد بيكر، وكان المبلغ المكتوب في الشيك مبلغاً جسيماً، فلماذا؟ لقد عرض دافيد الزواج على نورما، فهل كان جادّاً؟ أحقّاً يحب نورما؟ إذا كان كذلك فمن

الصعب شراؤه. لقد كان يبدو مخلصاً في عرضه الزواج على نورما ومن المؤكد أن نورما صدّقته، ولكن الذي لم يصدقه هو السيد غوبي وأندرو ريستاريك وهيركيول بوارو، ومن المحتمل جداً أنهم على صواب.

تنحنح السيد غوبي مرة ثانية ثم استمر يقرأ: كلوديا هولاند، فتاة لا غبار عليها، والدها عضو في البرلمان، لا فضائح خاصة بها، بدأت حياتها سكرتيرة طبيب في شارع هارلي، وهي سكرتيرة من الطراز الأول، وبعد ذلك أصبحت سكرتيرة للسيد أندرو ريستاريك منذ شهرين. ليست لها أيّ علاقات عاطفية معروفة، لا شيء بينها وبين مخدومها السيد ريستاريك، تعيش في ضاحية بورودين منذ ثلاث سنوات، تدفع إيجاراً باهظاً، وهي في العادة تعيش ومعها شريكتان في الشقة. أما فرانسيس كاري، وهي الفتاة الثانية، فهي تعمل في متحف فنّي في شارع بوند، وهي متخصصة في تنظيم المعارض الفنية، وتذهب أحياناً إلى سويسرا والبرتغال، ولها أصدقاء كثيرون في الوسط الفني ومن الأطباء.

ثم توقف السيد غوبي عن القراءة وقال: لم أستطع الحصول على معلومات من جنوب إفريقيا، ولا أظن أنني سأجد معلومات؛ فأندرو ريستاريك تنقل كثيراً من كينيا إلى أوغندا إلى ساحل الذهب إلى جنوب أمريكا أيضاً... كان يتنقل باستمرار ولذلك فليس له أصدقاء في أي مكان، وكان معه المال اللازم لتنقلاته حيث يشاء، فضلاً عن الثروة الشخصية التي كوّنها بمجهوده في رحلاته هذه. وقد أُشيع عنه ثلاث مرات أنه مات، ولكنه كان دائماً يعود من جديد في مكان مختلف عن المكان

الذي يُشاع عنه أنه مات فيه.

ثم قلب صفحة جديدة من مذكرته وعاد يستطرد قائلاً: ثم مات أخوه سيمون فجأة منذ عام تقريباً، وكان من الصعب العثور على أندرو في المجاهل التي كان يعيش فيها، والظاهر أن وفاة أخيه سببت له صدمة. كان قد تزوج أيضاً في ذلك الوقت امرأة أصغر منه بكثير، كانت مُدرسة من النوع الجاد المستقيم، وأخيراً عاد أندرو إلى لندن ومعه زوجته بعد أن أصبح ثرياً بفضل رحلاته ومغامراته، بالإضافة إلى أنه الوارث الوحيد لأخيه سيمون.

قال بوارو: هذه قصة نجاح ومأساة فتاة، وكم أتمنى لو أعرف المزيد عنها. ولكنك أخبرتني بكل الحقائق التي كانت تنقصني، الناس المحيطون بها والذين يحتمل أنهم أثّروا فيها، لقد كنت في حاجة إلى أن أعرف المزيد عن والدها وعن زوجته، فحاول أن تأتيني بالمزيد من المعلومات.

* * *

-١٥-

قال بوارو وهو ينحني بأدب شديد ويقدم باقة من الزهور للسيدة أوليفر: تفضلي يا سيدتي العزيزة.

فهتفت السيدة أوليفر وهي تتناول الزهور: سيد بوارو، ما أشدّ لطفك لاهتمامك بزيارتي والسؤال عني!

قال بوارو: لقد حضرت لتهنئتك بمناسبة شفائك.

تنهدت السيدة أوليفر وقالت: نعم، أنا الآن في كامل صحتي حقاً، وإن كنت ما أزال أشعر بصداع يعاودني من آن لآخر.

- تذكري أنني حذرتك من التورط في أعمال جريئة.

- هذا صحيح، ولكني لم أستطع أن أمنع نفسي من الاندماج في المغامرة. والواقع أن كل شيء كان يبدو مثيراً حتى بدأت أشعر بذلك الخوف المفاجئ؛ فقد شعرت فجأة بالخوف في تلك الشوارع الكثيرة الضيقة الملتوية والمنازل المهجورة، وأصبحت المغامرة كابوساً ثقيلاً، كأنني انتقلت من حفل بهيج وأضواء ساطعة وزحام شديد إلى غابة كثيفة مليئة بالوحوش والزواحف.

سألها: أليس عندك أيّ فكرة عمن تعقبك وهاجمك؟

أجابت: لا فكرة عندي، ولكني أعتقد أن الطاووس هو الذي وصف لي ذلك الاتجاه الخاطئ عمداً، ولا بد أنه هو الذي هاجمني، فمن غيره؟ ذلك الفنان القذر ذو الثياب القذرة؟ لقد كانت رائحته كريهة ولكنه لم يبدُ لي شريراً، ولا أعتقد أن تلك الفتاة فرانسيس هي التي هاجمَتني؛ فهي فتاة جميلة بشكل ما وإن كانت تستعمل مساحيق كثيفة ووجها شاحب جداً. لا، لا أعتقد أنها هي التي هاجمتني.

ثم سألته قائلة: ولكن ماذا فعلت في القضية الأساسية في الفترة التي قضيتها في المستشفى؟ لا بد أنك فعلت شيئاً، ماذا فعلت؟

تجاهل بوارو سؤالها وقال: يجب أن نبدأ من البداية، هذه هي الطريقة الصحيحة للوصول إلى الحقيقة. ذات صباح كلمتِني هاتفياً، كنت حزيناً في ذلك الوقت لأن شيئاً مزعجاً للغاية حدث لي، وقد كنتِ غاية في العطف وشجعتِني وأثرت حماستي، وقدّمتِ لي كوباً عظيماً من الشاي، وأكثر من ذلك أنكِ ساعدتِني أيضاً في العثور على الفتاة الغريبة التي زارتني وقالت إنها تعتقد أنها ارتكبت جريمة قتل. والآن دعينا نسأل أنفسنا: من القتيل؟ أين حدث القتل؟ لماذا حدث القتل؟

فقالت السيدة أوليفر: أنا في الحقيقة لا أدري ماذا تريد!

قال بوارو ببساطة: أريد جريمة قتل.

فقالت ضاحكة: ما أشبهك بكلب الصيد المتوحش وأنت تقول ذلك.

قال بوارو: أنا أريد جريمة قتل ولكني لا أجدها، فكل ما أراه أمامي هو ملامح عامة وعلاقات غامضة معقدة، فأيّ هذه الملامح هو الصحيح؟ لقد هجرت نورما منزلها واستقرت في لندن وأصبحت فتاة ثالثة في شقة في ضاحية بورودين، هذا ملمح. كلوديا هولاند سكرتيرة لوالد نورما، هذه علاقة، هل هي صدفة أم أن هناك تدبيراً خلف هذه الصدفة؟ الفتاة الأخرى تعمل في أحد المتاحف ولها علاقة بدافيد بيكر صديق نورما، هذه علاقة أخرى. ثم ما دخل دافيد بيكر في كل هذا؟ هل يحب نورما؟

قالت السيدة أوليفر متأملة: من العجيب حقاً أن تكون سكرتيرة لوالد نورما، أعتقد أنها بارعة في كل أعمالها وأعتقد أيضاً أنها هي التي دفعت تلك المرأة من نافذة الدور السابع.

فصاح بوارو: ماذا قلت؟! أيّ امرأة؟

أجابت: امرأة كانت تسكن في الدور السابع، سقطت من النافذة أو ألقت بنفسها أو دفعها أحد.

فصاح بوارو: ولِم لم تخبريني بذلك من قبل؟ تعرفين أنني أبحث عن قتيل، وأنت تقولين إنه لا يوجد قتلى. يا إلهي! متى حدث ذلك؟

أجابت: منذ أسبوع فيما أعتقد.

قال بوارو: مدهش، مدهش، ما اسم هذه المرأة؟

أجابت: لا أدري، لم يذكر لي أحد اسمها، إلا أنها امرأة في الخمسين من عمرها. ولكن أنا لا أرى علاقة بين موت هذه

المرأة والقضية التي نبحثها.

قال بوارو: بل ثمة علاقة. هناك هذه الفتاة نورما؛ فهي تعيش في نفس المنزل، وفي اليوم التالي تقابلك نورما في منزل أسرتها فتسمع حديثك عني، وفي اليوم الثالث تزورني وتقول إنها ارتكبت جريمة قتل... ألا ترين علاقة بين كل ذلك، أنا واثق أن هذه هي جريمة القتل التي أبحث عنها.

فكرت السيدة أوليفر في أن ما يقوله بوارو كلام فارغ، ولكنها لم تجرؤ على قول ذلك.

قال بوارو: هذا هو الشيء الناقص الذي كنت أبحث عنه، هذا هو الذي سوف يربط كل حلقات القضية بعضها ببعض.

* * *

-١٦-

جلس هيركيول بوارو في حجرة مكتبه يفكر ويستعرض كل تفصيلات القضية التي لم يكن يجد حتى ذلك الوقت رابطة منطقية تربط بينها. كانت التفصيلات كلها في ذهنه، ولكن كيف يجمع بينها ويرتبها ترتيباً منطقياً سليماً.

بدأ خياله يستعرض التفصيلات: ها هي زوجة الأب، ها هو يقف بجوار بوابة، امرأة تدير رأسها نحوه وفي يدها أدوات تقليم الزهور، ماذا في هذه الصورة؟ لا شيء. ها هي رأس ذهبية الشعر، شعر مصفف بطريقة منظمة جداً كأنه شعر مستعار في نافذة عرض لدى مصفف للشعر، والشعر يبدو كثيفاً بالنسبة للوجة الذي يحتويه.

لقد قال السيد رودريك إن ماري ريستاريك تضع شعراً مستعاراً بسبب حادث وقع لها في شبابها، فهل هو حقاً شعر مستعار؟ هل يستطيع أن يصدّق كلام السيد رودريك؟ وإذا كان حقاً شعراً مستعاراً فهل له دلالة خاصّة في الصورة العامة للقضية؟

ثم تذكر الحديث الذي دار بينه وبين ماري ريستاريك.

هل كان في الحديث شيء هام؟ ثم تذكر الحجرة التي دخلاها معاً، حجرة دون لمسة شخصية تبدو عليها حداثة الاستعمال، ثم لوحتين على الحائط إحداهما تمثّل امرأة شفتاها مطبقتان في صلابة شعرها بني رمادي هي السيدة ريستاريك الأولى، وقد بدا عليها أنها أكبر سناً من زوجها. والأخرى صورة أندرو ريستاريك على الحائط المقابل، اللوحتان ممتازتان فنياً؛ لقد كان الرسام لانسبرغر فناناً عظيماً في زمنه.

ثم عاد ذهن بوارو يحوم حول صورة أندرو ريستاريك. هل شعر أنها كانت أكثر فناً في المرة الأولى عما رآها في المرة الثانية؟

أندرو ريستاريك وكلوديا هولاند: هل العلاقة بينهما أكثر من علاقة المخدوم بسكرتيرته؟ ربما نعم وربما لا. ها هو رجل عاد حديثاً إلى الوطن بعد غيبة خمسة عشر عاماً، رجل لا أصدقاء له ولا معارف، رجل وجد نفسه أمام ابنة عصبية غريبة الأطوار، لعل من الطبيعي جداً أن يلجأ إلى سكرتيرته النشطة ويطلب منها أن تقبل ابنته في شقتها. هذه مصلحة متبادَلة لأن الفتاة كانت أيضاً تبحث عن فتاة ثالثة. فتاة ثالثة... هل هناك معنى خاص لهذه الجملة؟

* * *

-١٧-

نهض بوارو عن مائدة الإفطار في الصباح التالي وهو يقول لسكرتيرته: اليوم سوف أتحرك، فعندي مهام كثيرة يجب أن أقوم بها، هل قمت بالبحوث اللازمة لي وحددت المواعيد والاتصالات الضرورية.

أجابت سكرتيرته الآنسة ليمون: طبعاً، هي جميعاً هنا.

ثم سلّمته حقيبة الأوراق الجلدية الصغيرة فقال لها بوارو: أعلم أنني أستطيع أن أعتمد عليك دائماً.

كانت مهمته الأولى في ضاحية بورودين حيث منزل الفتيات الثلاث، وأمام المنزل خرج بوارو من سيارة الأجرة ثم وقف ينظر إلى المنزل، فرأى حمّالاً يقف أمام أبواب المصاعد وهو يصفر لحناً حزيناً فاقترب منه فكفّ الحمّال عن الصفير وقال: هل من خدمة يا سيدي؟

قال بوارو: تُرى هل تستطيع إخباري عن حادث محزن وقع هنا منذ أيام؟

بدت الحيرة على وجه الحمّال وقال: حادث محزن؟ لا، لا أعلم شيئاً عن حوادث محزنة.

قال بوارو: لقد ألقت سيدة بنفسها من نافذة في الدور السابع، أو لعلها سقطت من الدور السابع وماتت.

قال الحمّال بقلة اكتراث: آه، ذلك الحادث، لقد سمعت عنه ولكني لا أدري شيئاً عنه؛ فقد بدأت العمل هنا منذ أسبوع فقط. ولكني سأستدعي لك شخصاً يعرف الكثير.

ثم رفع صوته صائحاً: جو، جو، أنت يا جو.

فخرج من المنزل حمّال آخَر يسير بتراخ واقترب من بوارو، فسأله الحمّال الأول: أنت تعرف شيئاً عن حادث المرأة التي سقطت من الدور السابع، أليس كذلك؟

فقال جو بتكاسل: لا أعلم الكثير، لقد كان حادثاً محزناً.

سأله بوارو: ماذا كان اسمها؟ أنا أتساءل؛ فمن الجائز أن تكون واحدة من قريباتي.

قال جو: حقاً يا سيدي؟ يؤسفني ذلك، لقد كان اسمها السيدة كاربنتر.

- هل كانت تعيش هنا منذ زمن طويل؟

- دعني أفكر. لعلها كانت تعيش هنا منذ عام أو عام ونصف، لا، أعتقد أنها كانت تعيش هنا منذ عامين.

- في أي ساعة وقع الحادث؟

- في الخامسة أو السادسة صباحاً يا سيدي، وقع الحادث فجأة ودون إنذار. لم تصرخ المسكينة بل سقطت بهدوء تامّ،

وبالرغم من أن الوقت كان مبكراً جداً إلا أن الفناء سرعان ما امتلأ بالناس.

- أعتقد أيضاً أن سكان المنزل هبطوا عندما سمعوا بالحادث.

فهزّ جو كتفيه وقال: ليس كثيراً؛ فالمرأة لم تصرخ في أثناء سقوطها، وأكثر المتجمهرين كانوا من المارة، والذين رأوهم من نوافذ المنزل هبطوا لمشاهدة ما حدث.

- أعتقد أنها كانت تعيش بمفردها، أليس كذلك؟

قال جو: بلى يا سيدي، كانت تعيش بمفردها.

قال بوارو: ولكن كان لها أصدقاء من سكان المنزل ولا شك، أقصد الجيران.

- لا أدري، لم أرَها مع أحد من سكان المنزل، لقد كان يزورها بعض الأشخاص من الخارج. وعلى العموم تستطيع أن تحصل على معلومات أوفر من السيد ماكفرلين المسؤول عن المنزل.

فقال بوارو: حسناً، هذا ما سوف أقوم به فعلاً.

قال جو: مكتبه في الدور الأرضي.

تركه بوارو ثم دخل المنزل، وفتح حقيبة أوراقه وأخرج منها واحداً من الخطابات التي جهزتها له الآنسة ليمون وكان على الخطاب اسم السيد ماكفرلين، ثم طرق الباب ودخل فوجد أمامه السيد ماكفرلين وهو رجل متوسط القامة باسم الوجه، وقد

استقبل بوارو واقفاً ثم قرأ الخطاب وهزّ رأسه وقال: أنت إذن تريد أن تعرف الظروف التي فارقت فيها السيدة لويز كاربنتير الحياة، ماذا تريد أن تعرف بالتحديد؟

فقال بوارو وهو يمثل دور المحامي الكتوم: أرجو أن يبقى كل شيء سرّاً بيننا. لقد اتصل رجال الشرطة بأقارب السيدة كاربنتر، ولكن أقاربها رجوني بمناسبة قدومي إلى إنكلترا أن أحصل لهم على بعض المعلومات الشخصية عن قريبتهم. أنت تعرف أن تقارير رجال الشرطة الجافّة لا تفيد شيئاً.

- أجل، هذا صحيح. حسناً، اسأل ما شئت يا سيدي.

- منذ متى سكنت السيدة كاربنتير هنا؟ وكيف حصلت على هذه الشقة؟

- منذ عامين. كانت هناك سيدة تسكن من قبل في هذه الشقة وأعتقد أنها كانت صديقة للسيدة كاربنتر، فأخبرتنا بأنها سوف تتركها، وكان اسم تلك السيدة السيدة وايلدر، وكانت تعمل في الإذاعة ولكنها تركت عملها وهاجرت إلى كندا، وهكذا جاءت السيدة كاربنتر وسكنت في الشقة التي كانت تسكنها قبلها السيدة وايلدر.

- هل كانت السيدة كاربنتر ساكنة مريحة؟

فتردد ماكفرلين لحظة ثم قال: لنقل إنها كانت امرأة مهذَّبة.

- أرجو ألاّ تشعر بالحرج معي، هل كانت تقيم حفلات صاخبة؟

قال ماكفرلين: حسناً، لقد تلقيت بعض الشكاوى من وقت لآخر، ولكن معظمها كان من النزلاء المتقدّمين في السن الذين يعشقون الراحة والهدوء. كانت السيدة كاربنتر في الواقع مدمنة ومداومة على الشراب مع مجموعة كبيرة من الشباب، وقد سبّب ذلك بعض المتاعب.

- هل كانت تفضّل صحبة الرجال؟

- هي طبعاً لم تكن شابة.

قال بوارو: الظواهر خادعة غالباً. كم كان عمرها؟

- كانت في الخامسة والأربعين فيما أعتقد، ولم تكن صحتها على ما يرام أيضاً، وكانت تشرب بإفراط وتنتابها نوبات حزن غريبة، وكانت عصبية ودائمة التردد على الأطباء الذين يؤكدون لها إنها غير مصابة بأي مرض، ولكنها لم تصدقهم وأعتقد أن هذا هو الذي دفعها إلى الانتحار.

- هذه مأساة حقاً، هل كان لها أصدقاء من الجيران؟ كلوديا هولاند مثلاً.

- لا، لا أعتقد ذلك، لعلهما كانتا تتحدثان كلما جمع بينهما المصعد أو الطريق، ولكني لا أظن أنه كانت بينهما علاقة من أي نوع فهما مختلفتان في الطباع والمشارب.

- ألم تكن هناك علاقة بين السيدة كاربنتر ونورما ريستاريك؟

- لا أدري حقاً، لقد جاءت نورما هنا حديثاً جداً، وهي فتاة عصبية وخجولة مثل تلميذات المدارس. هل هناك شيء

آخر يا سيدي؟

- لا، لقد كنت لطيفاً جداً معي. تُرى هل في إمكاني أن أرى الشقة؟ أنا أحب أن أصف لأقرباء الفقيدة الجوّ الذي كانت تعيش فيه.

- نعم، في استطاعتك رؤية الشقة. تفضل معي.

وصعد الرجلان إلى الدور السابع وسار بوارو مع ماكفرلين حتى وصلا إلى باب الشقة رقم ٧٦، ووضع ماكفرلين المفتاح في الثقب، وعند ذلك سقط رقم من أرقام الشقة على الأرض فانحنى بوارو والتقطه وقدمه إلى ماكفرلين قائلاً: يبدو أن الأرقام ليست مثبَّتة جيداً.

قال ماكفرلين: نعم؛ فهي تسقط كثيراً. حسناً، تفضل بالدخول يا سيدي.

ودخل الاثنان الشقة وأخذ بوارو ينظر حوله بدقة فقال له ماكفرلين: جميع الشقق تؤجَّر مفروشة طبعاً ولا يحتاج السكان إلى إحضار أيّ أثاث.

فسار بوارو إلى النافذة ونظر منها وقال: هل هذه هي النافذة التي سقطت منها؟

- نعم، ولها شرفة خارجية. لقد ماتت المسكينة في الحال ولم تشعر بشيء لحسن الحظ، ولكن لعل الوفاة لم تكن انتحاراً وإنما كانت حادثاً.

- ولكن هذا ليس معقولاً يا سيد ماكفرلين، يستحيل أن تكون قد سقطت مصادفة؛ لا بد أنها تعمدت أن تلقي بنفسها.

- أنا أفضّل التفسيرات البسيطة، ولكن المسكينة كانت امرأة حزينة دائماً.

- نعم، نعم. أشكر لك لطفك، وسوف يكون في إمكاني أن أنقل إلى أقاربها صورة دقيقة لحياتها ولظروف وفاتها المؤلمة.

ثم خرج بوارو من المنزل وهو يسأل نفسه: هل ماتت لويز كاربنتر مصادفة أم عمداً؟

ولم يكن بوارو يدري لماذا يطارد هذا الاسم (لويز) ذاكرته؟

* * *

كانت المهمة الثانية لبوارو هي زيارة صديقه المفتش نيل في سكوتلانديارد، وقد استقبله نيل مرحّباً ثم قال له بعد أن جلس الاثنان في حجرة مكتب المفتش: ماذا وراءك هذه المرة أيها الشيطان العجوز؟

فقال بوارو: لا بد أنك تعرف أنه نفس الموضوع الذي طلبت منك معلومات عنه.

ثم نظر في ورقة تضم الأسئلة التي يريد جوابها من المفتش وقال: مَن يرث أندرو ريستاريك بعد موته؟

فأجاب نيل: ذلك يتوقف على الوصية التي سوف يتركها طبعاً، وإن كنت أتصور أن الورثة لن يزيدوا عن الزوجة والابنة.

- أليس هناك امرأة أخرى في حياة أندرو ريستاريك؟

- لا أظن؛ فزوجته ماري شابة حسناء.

- ولكن من الممكن أن يتقدم شابّ مغامر إلى الابنة ويتظاهر بحبها.

- ثم يتزوجها من أجل ثروة أبيها، أليس ذلك ما تقصده؟ هذا جائز جداً، وإن كان في إمكان الأب في كل لحظة أن يغيّر وصيته ويحرم ابنته من الميراث.

فنظر بوارو إلى قائمة الأسئلة التي أحضرها ليوجهها إلى صديقه ثم قال: وما معلوماتك عن المتحف الفنّي الذي تعمل به فرانسيس كاري؟

- هناك بعض الشائعات عن أنهم يزيفون اللوحات الأصلية، ولو أن هذه الشائعات لا تقف على أرض ثابتة.

- وماذا عن دافيد بيكر؟

- إنه شابّ مهمل عاطل لا عمل له، يشترك أحياناً في السطو على البارات والنوادي الليلية ويدمن الهيروئين والكوكايين، والفتيات تعشقنه، وهو يرسم أيضاً ولكنه رسام رديء ومعظم رسومه مبتذلة.

وبعد صمت قصير قال المفتش نيل: هل استلمت التقرير الخاص بانتحار تلك المرأة في ضاحية بورودين؟ لقد أرسلته إليك على عنوانك.

- نعم، ولكنه التقرير الموضوعي، المعلومات ظاهرية.

قال نيل: لقد تذكرت الآن شيئاً أثاره في ذاكرتي حديثي

معك. لقد كانت هذه المرأة من طراز يحبه الرجال ولديها مال وفير وكانت تدمن الخمر، ثم أُصيبت بمرض الوهم وتصورت أنها مصابة بالسرطان، وأعتقد أن السبب هو أنها اكتشفت أن الرجال لم يعودوا يُقبلون عليها. بالمناسبة هل تعلم أن لويز كاربنتر كانت عشيقة للسيد ريس هولاند والد كلوديا وقتاً ما؟ كانا يترددان معاً على الحانات والنوادي الليلية واستمرت علاقتهما زمناً، ولكني لا أعتقد أن كلاً منهما كان مخلصاً للآخر؛ لقد كان في حياتها رجال غيره وكان في حياته نساء غيرها.

وكانت هذه آخر المعلومات التي قدمها المفتش نيل لصديقه بوارو، ثم خرج بوارو إلى الشارع وهو يحدّث نفسه: هذه رابطة دون شك... ها هم أبطال القصة يقترب بعضهم من البعض. أنا الآن أعرف الكثير عن كل شيء وكل شخص، ولكني عاجز حتى الآن عن ترتيب الصورة الكاملة.

وكانت مهمة بوارو التالية هي زيارة الآنسة باترسي في بيتها الأنيق في ضاحية بيكاديللي، والآنسة باترسي هي المديرة السابقة لمدرسة ميدوفيلد الثانوية للبنات حيث قضت نورما بعض سنين حياتها.

* * *

-١٨-

مرة أخرى جلس هيركيول بوارو في مقعده المريح يفكر ويتأمل، وفوق منضدة صغيرة أمامه كانت توجد أوراق كثيرة؛ معلومات من السيد غوبي، معلومات من المفتش نيل، أوراق أخرى مكتوب عليها شائعات ومصادرها، ولم يكن بوارو في حاجة إلى قراءة هذه الأوراق لأنه كان قد قرأها مراراً وتكراراً، ولكنه أصبح في حاجة إلى تصنيف هذه المعلومات والشائعات في صورة كاملة. كان مقتنعاً بأنه يمتلك جزئيات الصورة، ولكن ما هذه الصورة؟ هذا هو السؤال.

هناك زوايا كثيرة يستطيع منها أن يقترب من الحل، ولكن أي زاوية يختار؟ لم يكن بوارو يحب أن يعتمد على الحدس ولكنه كان يعتمد على مشاعره، فما الذي يشعر به بوارو حيال هذه القضية؟ أي نوع من القضايا هي؟ فلنبدأ من العموميات حتى نصل إلى الجزئيات، ما حقائق هذه القضية؟

هناك أولاً المال، ثم هناك ثانياً الشرّ. نعم، هناك شر في مكان ما في هذه القضية؛ فبوارو يعرف الشرّ جيداً؛ لقد قابله كثيراً من قبل وهو يعرف شكله وطعمه ورائحته ووسائله، ولكن المشكلة أنه لا يعرف أين يكمن الشرّ في هذه القضية بالرغم من

ثقته في وجوده! لقد اتخذ بعض الترتيبات لمقاومة الشرّ ولعلها تكون كافية، ولكنّ هناك شيئاً شريراً على وشك الحدوث، شخص ما في مكان ما في خطر شديد.

ثم ترك بوارو ذلك البحث معلَّقاً مؤقَّتاً وبدأ يتأمل في الأشخاص، ما الصورة التي تتكون من الأشخاص؟ ما الأدوار التي يلعبونها؟

أندرو ريستاريك أولاً، رجل قلق لا يستقر في مكان واحد ولكنه عموماً شخص محبوب وناجح، هل له نواحي ضعف؟ لقد عاد إلى إنكلترا بعد قصة نجاح متواصل، فكيف يمكن إذن وصفه بأنه صاحب شخصية ضعيفة؟ لعله ضعيف فيما يتعلق بالنساء؛ فلقد أخطأ في زواجه الأول، ولعلّ عائلته هي التي دفعته إلى هذا الزواج، ثم قابل امرأة أخرى. أهي امرأة واحدة أم عدة نساء؟ من الصعب معرفة ذلك بعد مرور كل هذه السنوات، ولكنه كان زوجاً خائناً. لقد كان له بيت زوجية هادئ وكان يحب ابنته، ولكنه قابل بعد ذلك تلك المرأة التي جعلته يهجر ذلك البيت ويهجر طفلته. لا بد أنها كانت قصة غرام عنيف، ولكن هل كانت هي الدافع الوحيد؟

ماذا عن كراهية حياة المدن والعمل في المكاتب؟ ويبدو أيضاً أن أندرو ريستاريك كان شخصاً منطوياً على نفسه سواء في إنكلترا أم في خارجها لأنه لم يكوّن صداقات وثيقة مع أحد، ولكن كيف كان له أن يكوّن صداقات في الخارج وهو الذي لم يستقر في مكان واحد قط؟ إنه رحّالة بالسليقة، ومع ذلك فإن ذلك كله لا يتفق مع صورة الرجل، صورة! قفزت الكلمة إلى ذهن بوارو وذكّرته بالصورة المعلَّقة في مكتب أندرو ريستاريك.

إنها صورة الرجل نفسه منذ خمسة عشر عاماً. ما التغيرات التي أحدثتها هذه السنوات في ملامح الرجل؟ من المدهش حقاً أنها تغيرات قليلة جداً. لقد شاب الشعر قليلاً وامتلأ الجسم قليلاً ولكن الملامح لم تتغير، فوجه الرجل لم يتغيّر، وجه صارم، وجه رجل يعرف ماذا يريد ويعرف كيف يحصل عليه، وجه رجل مُخاطِر.

لماذا أحضر أندرو ريستاريك تلك الصورة من المنزل إلى حجرة المكتب في لندن؟ الصورة واحدة من صورتين، صورته وصورة زوجته الأولى. لقد كان يجب بقاؤهما معاً، على الأقل من الناحية الفنية. هل يستطيع العالِم النفسيّ أن يقول إن سبب نقل الصورة هو رغبة أندرو ريستاريك في أن ينفصل مرة أخرى عن زوجته التي هجرها قديماً؟ هل ما يزال أندرو يرغب في أن يهجرها حتى بعد أن ماتت؟

لقد خرجت الصورتان من مخزن المنزل مع صور أخرى. تُرى ما شعور ماري ريستاريك نحو تعليق صورة الزوج والزوجة الأولى معاً؟ المعقول أن وجودها في ذلك المنزل مؤقّت ممّا جعلها لا تهتم، ثم إن ماري ريستاريك ليست امرأة من النوع الغيور؛ فهي امرأة عاقلة، ومع ذلك فجميع النساء يشعرن بالغيرة إن لم يكن من جميع النساء فعلى الأقل من زوجات أزواجهن.

شعر بوارو عند ذلك بالدهشة لأنه لم يفكر كثيراً في ماري ريستاريك. لقد رآها وتحدث معها مرة واحدة ولكنها لم تترك أثراً في نفسه، لقد شعر بأنها امرأة نشيطة و... وماذا؟ متصنعة؟ ما الذي جاء بهذه الكلمة؟ هل الشعر المستعار هو السبب؟ ثم إنها كانت غاضبة جداً عندما اكتشفت وجود دافيد بيكر في

المنزل. لقد كان غضبها طبيعياً لا ريبة فيه، ولكنْ دافيد بيكر، ماذا كان يبدو عليه؟ الشعور بالتسلية لا أكثر، ولكنها كانت غاضبة جداً لوجوده في المنزل. هذا شيء طبيعي منها؛ أي أم تحب ابنتها تكره أن تكون لها علاقة بهذا الشاب الرقيع. ولكن ماري ريستاريك ليست أم نورما، هي قطعاً لا تهتم بمستقبل نورما ولا تخشى عليها من ذلك الشاب، ماذا يهمها من الأمر كله؟ ما مشاعر ماري نحو نورما؟ تشعر بأنها فتاة متعبة متعلقة بشاب رقيع من المؤكد أنه سوف يسبب متاعب جمّة لأندرو ريستاريك، وبعد ذلك، ما شعور ماري نحو ابنة زوجها التي حاولت أن تدس لها السم؟ لقد كان تصرف ماري تصرفاً طبيعياً عندما تخلصت من الفتاة وجعلتها تغادر المنزل لكي تنجو من خطر الموت بالسم، وللتعاون مع زوجها في إخفاء أيّ فضيحة كان من الجائز أن تحدث.

لقد استمرت نورما تزور المنزل في الإجازات الأسبوعية، ولكن حياتها استقرت في لندن، وحتى إذا انتقل أندرو وزوجته إلى منزل في لندن فليس هناك ما يدعو إلى أن تعيش نورما معها؛ فمعظم الفتيات في هذه الأيام يعشن بعيداً عن عائلاتهن، إذن فنورما ليست مشكلة بالنسبة لماري، ولكن أندرو ريستاريك نفسه يتصور أن ابنته هي التي كانت تدسّ السم لزوجته، ولكن بوارو لا يتصور ذلك.

ثم انتقل بوارو بأفكاره من الريف إلى لندن إلى الفتاتين اللتين تشاركان نورما السكن، كلوديا هولاند ابنة ريس هولاند عضو البرلمان، وهي فتاة غنية مثقفة نشطة وسكرتيرة ممتازة، وفرانسيس كاري، الفتاة ذات الميول الفنية التي التحقت في أول

حياتها بمعهد لدراسة التمثيل ولكنها هجرته بعد فترة قصيرة، ثم التحقت بمعهد تجاري وهجرته أيضاً بعد فترة قصيرة، والتحقت بعدة وظائف، وهي أخيراً تعمل في متحف الفن، وهي تعرف دافيد بيكر. تُرى هل تحبه؟

دافيد بيكر شاب يستطيع اجتذاب كل الفتيات، ولكن ما رأي بوارو نفسه في دافيد بيكر؟ بوارو يراه شاباً وسيماً مهملاً قابله في منزل ريستاريك وهو يؤدي خدمة لنورما أو لنفسه، ثم رآه ثانياً في الطريق وأركبه السيارة معه، ولاحظ أنه شاب ذو شخصية قوية وقادرة على النجاح.

ومع ذلك، فإن هناك جانباً غير مُرضٍ في ذلك الشاب؛ فله سوابق كثيرة تافهة مثل تزوير الفواتير والسطو على البارات والأندية الليلية، بجانب الاشتراك في جريمتَي إجهاض. هذا هو نمط الإجرام اليوم. بالإضافة إلى أنه ليس من النوع الذي يحب العمل المستمرّ، وهو مغرور وأنانيّ وطاووس في مظهره. هل هناك ما هو أكثر من ذلك؟

هل عرض دافيد الزواج بنورما آملاً في الحصول على ثروة أبيها يوماً ما؟ ولكن في استطاعة أندرو ريستاريك دائماً أن يغيّر وصيته ما دام لا يحب دافيد بيكر، فهل يمكن القول إذن إن دافيد حقاً يحب نورما وليس طامعاً في أي ثروة؟

وعندها تذكر بوارو الشيك الذي وقَّعه أندرو ريستاريك باسم دافيد بيكر، إذن فأندرو اشترى دافيد، اشترى ابتعاده عن ابنته، اشتراه بمبلغ باهظ، مبلغ يدير رأس أي إنسان... ومع ذلك فقد عرض دافيد الزواج على نورما، هل كان دافيد يحاول

أن يجعل الأب يضاعف ثمن الشراء؟ وتذكّر بوارو وجه أندرو ريستاريك الصارم، لا بد أنه يحب ابنته جداً حتى يدفع ذلك المبلغ ليصدّ عنها رفقاء السوء.

ثم ماذا عن انتحار تلك المرأة لويز كاربنتر من نافذة الدور السابع؟ هل هذه هي جريمة نورما؟ كانت القتيلة كانت تسكن في نفس العمارة التي تسكن فيها الفتاة، لا بد أن هذه إذن هي الجريمة التي دفعت بالفتاة إلى أن تطرق بابه مستنجدة ذات صباح، هل هي الجريمة المنشودة؟

ومدّ بوارو يده وتناول الأوراق التي تحوي كافة المعلومات عن لويز كاربنتر. امرأة في الثالثة والأربعين، من وسط اجتماعي محترَم ومعروف عنها أنها نشأت نشأة طليقة، تزوجت مرتين وطُلّقت مرتين، أدمنت الخمر في سنواتها الأخيرة، كانت تحب الحفلات وكانت تصاحب رجالاً أصغر منها سناً بكثير، كانت تعيش بمفردها في ضاحية بورودين، وكانت تتصور أنها مصابة بالسرطان... كل هذا لا يربط بينها وبين نورما ريستاريك.

لويز كاربنتر... لويز، لماذا يبدو له ذلك الاسم مألوفاً؟ أين سمعه قبل الآن في هذه القضية؟ وتصلّب جسم بوارو فجأة؛ لقد تذكر أين سمع ذلك الاسم. إنه اسم المرأة التي هرب معها أندرو ريستاريك من إنكلترا. لقد كان اسمها لويز بيريل، لقد هرب الاثنان معاً ثم اختلفا وافترقا بعد عام واحد، لويز بيريل إذن امرأة تحب بعنف وتتشاجر بعنف وتختلف بعنف، هي مثل لويز كاربنتر، لا بد أن لويز كاربنتر هي نفسها لويز بيريل.

ولكن حتى على فرض صحة ذلك فما الذي يربط بين

لويز ونورما؟ هل تقابل أندرو مع عشيقته القديمة بعد عودته إلى إنكلترا؟ هذا احتمال ضعيف لأن حياة كل منهما ابتعدت تماماً عن حياة الآخر، ولكن على فرض أنهما تقابلا فهل ثارت غيرة زوجة أندرو الحالية من عشيقته القديمة فألقت بها من النافذة؟ كلام فارغ؛ فالمرأة الوحيدة التي تكره لويز هي الزوجة الأولى التي ماتت و...

عند ذلك ارتفع رنين جرس الهاتف، ولكن بوارو لم يتحرك من مكانه. لم يكن يريد أن يخرج من خواطره؛ فقد كان يشعر أنه قد بدأ يسير في الطريق الصحيح، ولكن الباب فُتح ودخلت الآنسة ليمون تقول: السيدة أوليفر على الهاتف.

فصاح بوارو: ليس الآن، لا أريد أن يزعجني أحد الآن.

قالت الآنسة ليمون: تقول إنها تذكرت شيئاً هاماً نسيت أن تخبرك به، شيئاً خاصاً بقصاصة من الورق وقعت في يدها من عربة لنقل الأثاث.

- ليس الآن من فضلك، ليس الآن.

قالت الآنسة ليمون: سوف أخبرها بأنك مشغول.

ثم خرجت وعاد السلام يرفرف على الحجرة وعادت خواطر بوارو تنتظم في حلقات، وفجأة سطع خاطر منها أمام ذهنه فصاح بوارو: وجدتها، الآن أعرف كل شيء، لقد اكتملت الصورة تماماً، الشعر المستعار... الصورة.

عادت الآنسة ليمون تقول: الدكتور ستيلينغفليت على الهاتف وهو مصمم على الكلام معك.

فقال بوارو: قولي للدكتور إنني... مَن قلتِ؟ الدكتور ستيلينغفليت.

فأخذ السماعة قائلاً: أنا هيركيول بوارو، هل حدث شيء؟

- لقد خرجت الفتاة من العيادة.

صاح بوارو: ماذا؟!

- كما قلت. خرجت الفتاة من العيادة، خرجت من الباب العمومي.

قال بوارو بانزعاج شديد: يا إلهي! ولماذا تركتها تخرج؟ هذا جنون!

- لقد كان هذا هو اتفاقي معها؛ فهي حرة في الدخول والخروج في أيّ وقت تشاء.

فقال بوارو: أنت لا تستطيع تقدير النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على ذلك.

- حسناً، أنا لا أعرف هذه النتائج، ولكني أعرف ما أفعل، وإذا منعتها من الخروج فكل جهودي معها تضيع سُدى. تأكد أنني بذلت مجهوداً علمياً كبيراً، فعملي يختلف عن عملك؛ لقد كنت واثقاً أنني على وشك الوصول إلى شيء وأنها لن تترك العيادة أبداً.

- وها هي قد خرجت، ماذا حدث؟ لا بد أن شيئاً ما قد حدث.

- بصراحة يا صديقي لا أفهم السر في هذه النكسة.

- لا بد أن شيئاً ما قد حدث، لا بد أنها رأت شخصاً ما أو تحادثت مع شخص ما أو أنّ شخصاً ما عرف مكان اختفائها. هل تسلمت خطاباً أو تلغرافاً أو مكالمة هاتفية؟

- لا شيء من ذلك على الإطلاق، أنا واثق من ذلك.

- إذن كيف؟ آه، الصحف، هل تدخل الصحف عيادتك؟

- طبعاً؛ فأنا أحرص على أن يشعر النزلاء بالحياة الطبيعية حولهم في عيادتي.

- وها هم قد وصلوا إليها بهذه الطريقة. الحياة الطبيعية حقاً، أيّ الصحف تدخل عيادتك؟

- الصحف اليومية الخمس.

- ومتى خرجت الفتاة؟

- في العاشرة والنصف هذا الصباح.

- بعد أن قرأت الصحف طبعاً، وقرأت فيها إعلاناً موجَّهاً إليها. ما صحيفتها المفضَّلة؟

- لا أدري حقاً، أعتقد أنها تقرأ جميع الصحف.

فقال بوارو وهو ينهي المكالمة: حسناً يا صديقي، وداعاً الآن، لا وقت للحديث، يجب أن أبحث فوراً عن الإعلان الذي جعل نورما ريستاريك تغادر عيادتك؟

ثم وضع السماعة مكانها وصاح: آنسة ليمون، إليّ بجميع الجرائد التي صدرت اليوم.

فأحضرت الآنسة ليمون الجرائد وبدأت تبحث مع بوارو عن الإعلانات الشخصية، وأخذ بوارو يقرأ بجنون عمود الإعلانات: «سيدة تريد أن تتخلص من معطفها»، «منزل جميل للبيع»، «مدرسة للمتخلفين عقلياً»، «حلوى مصنوعة في البيت»، آه، ها هو الإعلان: «أنا في مشكلة كبيرة جداً، لا بد أن أراك، اذهبي إلى الشقة في الرابعة والنصف دون تأخّر، كلمة السر جوليات».

ثم تناول بوارو معطفه وهُرع إلى الباب الخارجي وفتحه فاصطدم بالسيدة أوليفر التي حضرت لزيارته في نفس اللحظة.

* * *

-١٩-

كانت فرانسيس كاري تسير الهوينى وهي تحمل حقيبتها مع الصديقة التي قابلتها في الطريق، وكانت الاثنتان ذاهبتين إلى ضاحية بورودين. قالت الصديقة: حقاً يا فرانسيس، كيف تعيشين في هذا المنزل البشع؟ إنه يشبه السجن تماماً!

قالت فرانسيس: كلام فارغ يا إيلين، الشقق هنا مريحة جداً وأنا سعيدة بالإقامة فيها، وكلوديا زميلة مثالية لا تتدخل في شؤون غيرها أبداً.

- أليس في الشقة غيركما؟ لقد نسيت، كنت أظن أن معكما فتاة ثالثة.

هزت فرانسيس كتفيها وقالت: يبدو أنها هجرتها.

- هل تعنين أنها لا تدفع نصيبها في الإيجار؟

- لا، لا، بل تدفع بانتظام، ولكني أعتقد أنها هربت مع صديق لها.

- هل أنت ذاهبة حقاً إلى فِيِنا في الشهر القادم؟

- نعم، هناك معرض سوف أشرف على تنظيمه.

- أعتقد أن الأمر سيكون بشعاً إذا سُرقت منك بعض اللوحات هناك.

فقالت فرانسيس: لا خوف من ذلك، فجميع اللوحات مؤمَّن عليها، اللوحات الهامة على الأقل.

وصلت الفتاتان عند ذلك إلى مفترق الطرق فانصرفت إيلين إلى طريقها ودخلت فرانسيس المنزل وصعدت بالمصعد وهي تصفر لحناً مرحاً، ثم خرجت من المصعد وسارت في الممر المؤدي إلى شقتها، وفتحت الباب ودخلت وأغلقت باب الشقة خلفها، وكانت الصالة مظلمة ولكن باب حجرة الصالون كان مفتوحاً نصف فتحة، وكان يبدو خلفه ضوء المصباح الكهربائي. قالت فرانسيس: من الذي أضاء المصباح الآن؟ هذا شيء مضحك.

ثم خلعت معطفها ووضعت حقيبتها على المقعد وسارت نحو حجرة الصالون ودفعت الباب ودخلت، وما إن رأت المنظر الذي طالعها حتى وقفت جامدة في مكانها وكأنما مسها تيار كهربائي، فتحت فمها ثم أغلقته عاجزة عن الكلام أو الصياح وبرزت عيناها من محجريهما، وأخيراً تمالكت نفسها وأطلقت صرخة مدوّية ورجعت مسرعة، فخرجت من حجرة الصالون وجرت وهي تتعثر في قطع الأثاث حتى فتحت باب الشقة وأسرعت إلى باب شقة جارتها الآنسة جاكوب فأخذت تطرق بابها بجنون، وفتحت الآنسة جاكوب العجوز الباب وهتفت: ماذا حدث بالله عليك؟

ولكن فرانسيس قاطعتها بصوت متحشرج: هناك شخص

في الصالون، شخص ميّت! أعتقد أنه شخص أعرفه، أعتقد أنه دافيد بيكر... جثته ملقاة على الأرض، أعتقد أنه مطعون بسكين... هناك دم كثير، بحيرة من الدم!

ثم أخذت تبكي بهستيريا شديدة فجذبتها الآنسة جاكوب إلى الداخل وأجلستها وقدّمت إليها عصيراً منعشاً وقالت: اشربي هذا ولا تتحركي من هنا.

تجرّعت فرانسيس العصير بذهول، أما الآنسة جاكوب فإنها خرجت من شقتها ودخلت الشقة المجاورة وذهبت إلى الصالون الذي به الجثة، ولم تكن الآنسة جاكوب من النوع الذي يصرخ أمام المشاهد المفزعة، فوقفت في حجرة الصالون وشفتاها مضمومتان.

كان المنظر الذي طالعها كابوساً رهيباً؛ فعلى الأرض كان يرقد ذلك الشاب وذراعاه مفتوحتان وشعره الكستنائي متهدل فوق كتفيه، وكان مرتدياً معطفاً قرمزياً وكان قميصه الأبيض غارقاً في الدماء، في بحيرة من الدماء! ثم تنبهت الآنسة جاكوب إلى وجود شخص آخَر في الحجرة، كانت هناك فتاة تقف ملتصقة بالحائط وهي تنظر إلى الجثة بذهول.

كانت الفتاة ترتدي ثوباً أبيض اللون وشعرها البني متهدل فوق خديها، وكان في يدها اليمنى سكين تتساقط منه الدماء، فحدّقت الآنسة جاكوب إلى الفتاة وتنبهت الفتاة إلى وجود الآنسة جاكوب ونظراتها إليها، فقالت بلهجة خالية من كل عاطفة: نعم، أنا القاتلة، لقد قتلته وسقطت دماؤه على يدي فذهبت إلى الحمام وغسلت يدي، ولكن يبدو أن الدماء لا تزول من اليدين

أبداً، ثم عُدت إلى هنا لأتأكد أن ما حدث هو شيء حقيقي. ولكنه حقيقي كما ترين... مسكين دافيد، ولكني أعتقد أنه كان لا بد لي أن أقتله.

فقالت الآنسة جاكوب وهي لا تدري ماذا تقول: حقاً، ما الذي دعاك إلى هذا؟

أجابت الفتاة: لا أدري! بل أعتقد أنني أدري، لقد كان في مشكلة كبيرة وأرسل لي مستغيثاً فحضرت، ولكني كنت أريد أن أتحرر منه، كنت أريد أن أهجره، فأنا في الحقيقة لم أكن أحبه.

ثم وضعت السكين على المنضدة بهدوء وجلست على المقعد وقالت: ليس من الحكمة أن يحب الإنسان أحداً، ليس من الحكمة لأن الإنسان لا يعرف إلى ماذا يدفعه ذلك الحب، مثل لويز.

* * *

كان في الحجرة ستة أشخاص باستثناء صورة المهرج التي على الحائط، وكان قد مضى وقت طويل على اكتشاف الجثة، وكانت الشرطة قد جاءت ثم ذهبت، وكان أندرو ريستاريك يجلس كأنه شخص تحت تأثير التنويم المغنطيسي، وكان يكرر بطريقة آلية قوله: أنا لا أصدق! أنا لا أصدق!

كان قد استُدعي هاتفياً فجاء إلى الشقة ومعه كلوديا هولاند التي أدّت دور السكرتيرة بنجاح عظيم رغم الصدمة التي فاجأت الجميع؛ فاتصلت بالأشخاص اللازمين وبماري ريستاريك، ثم أعطت فرانسيس كاري مهدئاً وأرغمتها على أن تلزم الفراش.

كان هيركيول بوارو والسيدة أوليفر يجلسان جنباً إلى جنب على الأريكة. لقد وصلا في نفس الوقت الذي وصل فيه رجال الشرطة ثم بقيا بعد أن انصرفت الشرطة، وأخيراً جاء المفتش نيل فحيّا بوارو بإيماءة من رأسه ثم صافح أندرو ريستاريك، ولكن ماذا كان الجميع ينتظرون؟ لقد نُقلت الجثة وقام رجال الشرطة برفع البصمات وتصوير الجثة من مختلِف زواياها، ولكن ها هم يجلسون دون أن يعرفوا لماذا!

قالت السيدة أوليفر موجّهة حديثها إلى المفتش نيل: إذا كنت تريد منّي أن أنصرف...

فقال المفتش نيل باسماً: أنت السيدة أوليفر، أليس كذلك؟ إذا لم يكن لديك مانع فأنا أفضّل بقاءك.

فتنهدت السيدة أوليفر ثم أغمضت عينيها وهي تتصور المشهد المفزع الذي طالعها عند دخولها هذه الحجرة، الشاب الطاووس ميتاً على الأرض بطريقة تبدو كأنها موت في مسرحية، وكانت الفتاة تبدو مختلفة تماماً. لم تكن نورما ريستاريك الخائفة المضطربة، بل كانت فتاة جادّة تنتظر مصيرها بثقة وكبرياء.

وكان بوارو قد قام بمكالمتين إحداهما لسكوتلانديارد، وبعد أن انتهى من مكالمته الهاتفية عاد إلى مسرح الجريمة وانضمّ إلى الموجودين، ثم جلس بجوار صديقته السيدة أوليفر فقالت له: كم أرجو أن تفعل شيئاً.

قال: ولكني فعلت، لقد اتصلت بالأشخاص الذين يجب أن يكونوا حاضرين هنا. نحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً قبل أن تنتهي الشرطة من التحقيقات الابتدائية.

سألته: من الذي كلّمته بالهاتف بعد سكوتلانديارد؟

أجاب: الدكتور ستيلينغفليت.

– الدكتور ماذا؟ من هو؟ هل تريد منه أن يقول إن الفتاة المسكينة نورما مجنونة وغير مسؤولة عن تصرفاتها؟

– مؤهلاته العلمية تستطيع أن تجعله يقول هذا على أية حال.

– هل يعرف أيّ شيء عنها؟

– يعرف الكثير، لقد كانت في عيادته النفسية وتحت رعايته منذ ذلك اليوم الذي رأيتها فيه في مطعم شارع ثورب.

– من أرسلها إليه؟

– أنا طبعاً. لقد دبرت بعض الترتيبات هاتفياً قبل أن أوافيك إلى المطعم.

– ماذا؟ إذن كنت تعرف مكانها طول الوقت وأنا أستحثك على أن تفعل شيئاً ولم تخبرني؟ حقاً يا بوارو كيف أمكنك أن تكون وضيعاً هكذا؟

قال بوارو مهدّئاً: ما فعلته كان في سبيل المصلحة العامة.

– هذا ما يقوله كل إنسان بعد أن يفعل شيئاً يثير الجنون. وماذا فعلت غير ذلك؟

– لقد رتبت الأمر بحيث يكلفني والدها بالبحث عنها حتى يمكنني المحافظة على سلامتها في عيادة الدكتور ستيلينغفليت.

قالت: وكيف علمت بالله عليك أن والدها سوف يكلفك بالبحث عنها؟ كيف نجحت في التأثير على والدها؟

- لقد اقتحمت مكتبه ومعي خطاب منه يطلب فيه مساعدتي في البحث عن ابنته.

- وما الذي جعله يرسل لك هذا الخطاب؟

- لم يرسل لي أيّ خطابات. أنا الذي كتبت الخطاب وأنا الذي وقّعته طبعاً.

ضحكت السيدة أوليفر وقالت: يا لك من شيطان يا بوارو! وماذا كان هدفك من ذلك كله؟

- أردت أن أوقظ فضوله، وبعد ذلك استخدمت مواهبي في التأثير عليه حتى كلفني بالبحث عن نورما.

- هل أخبرته أنك وضعت نورما في عيادة دكتور ستيلينغفليت؟

- بالطبع لا. لم أخبر أيّ إنسان، فقد كان هناك خطر شديد.

- هل تعني أن نورما كانت في خطر؟

- أو أنها كانت خطيرة على شخص آخَر. منذ البداية كان الاحتمالان ماثلَين في ذهني. لقد كانت محاولات تسميم ماري ريستاريك محاولات فجّة ولم تكن محاولات جادة للقتل، ولكن كانت هناك قصة ذلك المسدس الذي انطلق في فناء منزل ضاحية بورودين ثم قصة السكين وبقعة الدم.

وتوقف لحظة ثم استطرد قائلاً: في كل مرة يحدث شيء من هذا كنت أجد أن نورما لا تعلم شيئاً عن هذا الشيء أو لا تتذكر شيئاً، تعثر على الزرنيخ في درج خزانتها ولكنها لا تتذكر أنها وضعته بنفسها، وهكذا، وهي تزعم أنها تفقد ذاكرتها بعض الوقت، ولذلك كان لا بد أن أسأل نفسي: هل هي صادقة في مزاعمها أم أنها تكذب لغرض في نفسها؟ هل هي ضحية لمؤامرات شيطانية لدفعها إلى الجنون أم هي نفسها العقل المدبر؟ هل تصور نفسها في صورة الفتاة التي تعاني من الاضطراب النفسي أم أنها تنوي ارتكاب جريمة قتل وتمهّد للدفاع عن نفسها بالتظاهر بالجنون؟

- لقد كانت تبدو مختلفة اليوم، هل لاحظت ذلك؟ مختلفة تماماً؛ فلم تعد مذعورة.

- نعم، لم تعد أوفيليا المجنونة، بل أفيجينيا المنتقمة.

ونهض بوارو قائلاً: اسمحي لي أن أتركك لحظة.

وغاب بعض الوقت، وعندما عاد قالت له السيدة أوليفر: أين كنت؟ هل ذهبت إلى حجرة نورما؟

فقال بوارو: حجرة نورما في حراسة الشرطة يا عزيزتي.

- هذا يضايقك جداً، أليس كذلك؟ وماذا تحمل في ذلك الملف الأسود الذي في يدك؟

لم يجِب بوارو عن هذا السؤال ولكنه سألها: ماذا تحملين في تلك الحقيبة التي في يدك؟

أجابت: لا شيء، فهي خالية تقريباً باستثناء خوختَين سوف

آكلهما عندما أجوع.

قال: إذن سوف أعهد إليك بهذا الملف لتضعيه في الحقيبة.

قالت: ولكن ماذا بداخله؟

- شيء كنت آمل في العثور عليه، وقد وجدته، وسوف تعرفين فيما بعد.

وفي تلك اللحظة اقتحم الحجرةَ الدكتور ستيلينغفليت واتجه مباشرة إلى بوارو صائحاً: ماذا فعلَت نورما؟ هل ارتكبَت جريمة قتل؟ من القتيل؟ أهو صديقها الشاب؟

فقال بوارو بهدوء: نعم.

سأله الطبيب: هل اعترفَت بالجريمة؟

قال بوارو: هذا ما يبدو.

فقال الطبيب: هذا لا يكفي، هل اعترفَت بالتفصيل؟

قال بوارو: أنا لم أسمع اعترافها، لم تُتَح لي فرصة للتحدث معها.

وعند ذلك دخل ضابط الشرطة وقال: دكتور ستيلينغفليت، أريد أن أتحدث معك قليلاً.

وخرج الرجلان، فقالت السيدة أوليفر متأملة: هذا إذن هو دكتور ستيلينغفليت؟ أراه شابّاً وسيماً.

* * *

-٢٠-

أخرج المفتش ورقة من بين الأوراق الموضوعة أمامه ثم نظر إلى الأشخاص الجالسين معه في الحجرة وقال: هذا هو محضر سؤال الآنسة جاكوب الذي كتبه السيد جنت كونوني، ولكني أحب أن أسألها بضعة أسئلة.

ودخلت الآنسة جاكوب الحجرة بعد لحظات فنهض نيل وحيّاها ثم قدم لها مقعداً وقال لها بعد أن جلسَت: أنا المفتش نيل من إدارة سكوتلانديارد، أنا آسف لإزعاجك للمرة الثانية ولكني فقط أحب أن أحصل على صورة أكثر وضوحاً لما رأيتِ وسمعت. أخشى أن تؤلمك الذكرى...

فقاطعته الآنسة جاكوب: لن تؤلمني إطلاقاً، ولكنها كانت صدمة فظيعة طبعاً؛ فالإنسان لا يعثر على جثث القتلى كل يوم.

قالت هذا ثم نظرت حولها نظرة فاحصة تتأمل وجوه الجالسين والتغيّرات المرتسمة عليها، بوارو وعلى وجهه الدهشة، السيدة أوليفر وعلى وجهها فضول صارخ، وجه الدكتور ستيلينغفليت الوسيم، وجه كلوديا الخالي من أي تعبير،

وأخيراً وجه أندرو ريستاريك الذاهل، فقالت له: لا بد أنك والد تلك الفتاة التعسة. أنا حزينة لأجلك، ولكننا نعيش في أيام مليئة بالاضطرابات النفسية التي تؤثر على بناتنا وأبنائنا.

ثم نظرت من جديد إلى المفتش نيل وقالت: حسناً، ماذا تريد أن تعرف؟

فقال المفتش نيل: أحب أن أسمع منك بلغتك الخاصّة تصويراً دقيقاً لكل ما رأيت وما سمعت.

قالت الآنسة جاكوب على غير المتوقَّع: أعتقد أن كلامي الآن سوف يختلف عما أدليت به في المحضر السابق؛ فأنا الآن أفكر بهدوء وأستطيع أن أذكر كل شيء بوضوح، وعلى العموم فسوف أبذل كل جهدي.

ثم أخذت تقصّ قائلة: لقد بدأ الأمر بصرخات هستيريا، ففزعت وظننت أن شخصاً ما قد أصيب في حادث. وهكذا كنت متجهة إلى الباب في نفس اللحظة التي طرقت فيها فرانسيس كاري الباب. فتحت الباب ورأيت أن الطارق هو إحدى جاراتي الفتيات الثلاث اللاتي يعشن في الشقة رقم ٦٧. كانت المسكينة في حالة ذعر شديد وقالت باضطراب شيئاً عن شخص في الصالون، شخص تعرفه، دافيد أو لا أدري ماذا... لم أتذكر اسمه بالكامل. كانت تبكي وترتجف بهستيريا، فأدخلتها شقتي وقدمت لها كأساً من عصير الليمون ثم جئت إلى هذه الشقة لأرى بنفسي، والآن أنت تعرف ماذا وجدت فهل تريد مني أن أذكر التفصيلات؟

قال المفتش نيل: أفضّل ذلك.

قالت الآنسة جاكوب: حسناً، لقد وجدت شاباً على شاكلة

شباب اليوم راقداً على الأرض، وكان من الواضح أنه ميّت. كانت عيناه مفتوحتين وكان يرقد في بحيرة من الدم، ثم بدأت أشعر بوجود شخص آخَر معي، وكان ذلك الشخص هو تلك الفتاة نورما ريستاريك، كانت تقف وفي يدها سكين تقطر منه الدماء، وكانت هادئة ومتمالكة نفسها تماماً.

سألها ستيلينغفليت: هل قالت نورما شيئاً؟

أجابت: نعم، قالت إنها ذهبت إلى الحمام لكي تغسل الدماء عن يديها، ولكن الدماء لا تزول عن اليدين بسهولة كما قالت. وكانت في الحقيقة في غاية الهدوء والتماسك. ثم وضعت السكين على المنضدة وجلست على المقعد.

سألها المفتش نيل: ماذا قالت غير ذلك؟

أجابت: قالت شيئاً عن الحقد، قالت إنه ليس من الحكمة أو الأمان أن يحب الإنسان شخصاً.

قال المفتش نيل: لقد ورد في المحضر على لسانك أنها قالت: "مسكين دافيد!" وأنها أرادت أن تتحرر منه.

قالت الآنسة جاكوب: لقد نسيت ذلك، أجل، لقد قالت إن القتيل دعاها إلى هذه الشقة، ثم قالت شيئاً عن امرأة اسمها لويز.

سألها بوارو بحدة: ماذا قالت عن لويز؟

فنظرت إليه الآنسة جاكوب دون اهتمام وقالت: قالت: "مثل لويز" ثم توقفت عن الكلام، كان ذلك بعد أن قالت: ليس من الأمان أن يحب الإنسان شخصاً.

- وبعد ذلك؟

- لا شيء أكثر من أنها طلبت منّي بهدوء أن أبلغ الشرطة، فطلبتُ الشرطة بالهاتف ثم جلست معها حتى جاءت الشرطة. لقد شعرت أنه لا يجب أن أتركها بمفردها، ولكننا لم نتبادل أيّ حديث فقد كانت تبدو غارقة في أفكارها، أما أنا فلم يخطر لي أي حديث مناسب كي أتبادله معها.

قال لها أندرو ريستاريك بتوسل واستعطاف: ولكنك رأيت أنها كانت مضطربة نفسياً، فهي لا تعرف ماذا فعلت ولماذا فعلته؟

فقالت الآنسة جاكوب: إذا كان من علامات الاضطراب النفسي بعد القتل أن القاتل يبدو بارداً تماماً ومتمالكاً نفسه فأنا أوافقك على ذلك.

فسألها الدكتور ستيلينغفليت: ولكن يا آنسة جاكوب، هل اعترفَت نورما بأنها قتلَته؟

أجابت: نعم، لعله كان يجب أن أذكر هذا من قبل. كان أول شيء قالته كأنها تجيب على سؤال وجهته إليها، قالت: "نعم، لقد قتلته، أنا القاتلة".

تنهد ريستاريك بألم ثم دفن وجهه بين يديه وأخذت كلوديا تربت على ذراعه في حين قال بوارو: لقد قلتِ يا آنسة جاكوب إن الفتاة وضعت السكين على المنضدة ثم جلست، لقد كانت المنضدة قريبة جداً منك، هل رأيتِها بوضوح؟ هل بدا لك أنها نفس السكين التي غسلَتها نورما؟

نظرت الآنسة جاكوب إلى المفتش نيل كأنما تسأله عن علاقة هذا الطفيلي بالقضية، ولكن نيل ابتسم وقال: يحسن بك أن تجيبي على هذا السؤال يا آنسة جاكوب.

فقالت: لا أعتقد أن تلك السكين كانت مغسولة فقد كانت ملطخة بالدم، ولكن كان يجب أن تعرف أنت كل شيء عن هذه السكين يا سيدي المفتش. ألم يفحصها رجالك؟ فهم يكونون غاية في الإهمال إذا لم يفحصوها.

قال نيل: لقد فحصها رجالي طبعاً، ولكننا يجب أن نكرر الأسئلة.

قالت: لترى مدى تمسك الشاهد بأقواله، أليس كذلك؟ مدى الحقيقة ومدى الخيال في أقوال الشاهد.

فابتسم نيل وقال: لا أعتقد أن ذلك ينطبق عليك يا آنسة جاكوب؛ فأنت شاهدة نموذجية.

قالت: ذلك شيء لا يسعدني على أية حال، ولكن الظروف هي التي تضطر الإنسان إلى حضور مثل هذه المواقف.

قال نيل: شكراً لك يا آنسة جاكوب، هل هناك من يريد أن يوجه أيّ أسئلة إلى الآنسة جاكوب؟

قال بوارو: نعم، بخصوص ذكر اسم لويز، هل تعرفين من كانت المقصودة؟

قالت: وكيف لي أن أعرف؟

قال: أليس من الجائز أنها كانت تقصد السيدة لويز كاربنتر؟

أنت كنت تعرفين السيدة لويز كاربنتر، أليس كذلك؟

قالت بلهجة قاطعة: أبداً، لم أكن أعرفها.

- ألم تعرفي أنها سقطت من نافذة شقتها من الدور السابع منذ أسابيع قليلة؟

- عرفت ذلك طبعاً، ولكني كنت أعرف أن اسمها هو السيدة كاربنتر ولم أكن أعرف أن اسمها لويز، ولم تكُن تربطني بها صلة من أيّ نوع.

- هل تقصدين أنك لم تكوني راغبة في معرفتها؟

- لا أريد أن أقول ذلك، ولكنك على حق فيما تقول. لقد كانت جارة مزعجة إلى أقصى حد، وطالما شكوتها إلى المسؤول عن العمارة وشكاها الجيران أيضاً.

- شكوتم من ماذا؟

- من إدمانها الخمر ومن الحفلات الصاخبة التي تقيمها ومن الضجة والإزعاج وأصوات الأثاث الذي يتحطم وكثرة الخروج والدخول.

- لعلها كانت امرأة وحيدة؟

- لم يكن هذا ما يبدو عليها لكثرة زوارها ومعارفها.

ثم رفعت الآنسة جاكوب قامتها وخرجت من الحجرة مرفوعة الرأس، ونظر بوارو إلى أندرو ريستاريك وسأله بلطف: هل كنت في وقت من الأوقات على صلة بالسيدة كاربنتر يا سيد ريستاريك؟

لم يُجِب ريستاريك في الحال، بل صمت لحظات ثم تنهد ووجّه نظراته إلى بوارو وقال: نعم، في وقت من الأوقات، منذ سنوات بعيدة جداً، ولكن لم يكن اسمها كاربنتر في ذلك الوقت. كان اسمها لويز بيريل، لقد كنت أحبها وكنت غارقاً في حبها، ومن أجلها هجرت زوجتي وطفلتي وهاجرت إلى إفريقيا، وبعد عام واحد تهدّم كل شيء. ثم عادت إلى إنكلترا ولم أسمع عنها بعد ذلك شيئاً، لم أعرف عنها أيّ شيء على الإطلاق.

- وماذا عن ابنتك نورما؟ هل كانت تعرف لويز بيريل؟

أجاب ريستاريك: لقد رأتها طبعاً في الماضي عندما كانت طفلة في الخامسة، ولكن لا أظن أنها تذكرتها فيما بعد. لقد كانت لويز تزورنا في المنزل وتلاعب نورما.

قال بوارو: إذن فمن الجائز أن نورما قد تذكرتها رغم مرور كل هذه السنوات.

- لا أدري، لا أدري كيف كانت هيئتها في هذه الفترة الأخيرة؛ فأنا لم أرَها كما قلت لك.

- ولكنك سمعت عنها بعد ذلك، أقصد بعد عودتك من إنكلترا.

مرة أخرى صمت ريستاريك ومرة أخرى تنهد وقال: أجل، ولكن كيف عرفت ذلك يا سيد بوارو؟

ودون أن يجيب بوارو أخرج من جيبه مظروفاً فتحه بحذر وأخرج منه قصاصة من الورق ناولها إلى ريستاريك، وقرأ

ريستاريك في هذه الورقة:

عزيزي إندي،

لقد قرأت في الصحف أنك عدت إلى إنكلترا. لا بدّ أن نلتقي ونتبادل الحديث والذكريات ونرى ما فعل الزمن بكل منّا، أتدري من يكتب لك يا إندي؟ أنا لويز، إياك أن تقول إنك نسيتني.

عزيزي إندي، سوف ترى من عنواني أنني أسكن في العمارة التي تسكن فيها سكرتيرتك. ما أصغر العالم حقاً! لا بد أن نلتقي. هل في استطاعتك أن تزورني يوم الإثنين القادم أو ربما الخميس؟ إندي يا حبيبي، لا بد أن أراك من جديد، أنا لم أحب في حياتي أحداً سواك وأنا واثقة أنك أيضاً لم تنسَني.

قال ريستاريك لبوارو: كيف حصلت على هذا الخطاب؟

قال بوارو: من صديق لي تلقّاه من عربة لنقل الأثاث.

قال ذلك ونظر إلى السيدة أوليفر.

نظر ريستاريك إلى السيدة أوليفر بحقد شديد فقالت السيدة أوليفر باعتذار: أنا آسفة، أعتقد أنه كان في أثاثها الذي كانت تنقله العربة والذي حدث أن أدراج الخزانات انفتحت في أثناء نقلها فطارت منها هذه الورقة وسقطت في يدي. لقد حاولت أن أعيدها ولكن الحمّالين رفضوا فوضعتها في حقيبتي دون تفكير ثم نسيتها، ولم أرَها إلا هذا الصباح عندما عثرت عليها فجأة في حقيبتي، فقرأتها وأدركت دلالتها. وهكذا ترى أنها ليست غلطتي.

قال بوارو: هذه طبعاً مسوَّدة للخطاب، فهل استلمت الخطاب الأصلي؟

أجاب ريستاريك: نعم، لقد استلمت الخطاب، ولكني لم أردّ عليه؛ رأيت من الحكمة ألاّ أرد عليها.

سأله بوارو: ألم تكن راغباً في رؤيتها من جديد؟

- كانت آخِر إنسان في الدنيا أرغب في رؤيته؛ لقد كانت امرأة عصبية وسمعت عنها أشياء نفّرتني منها أكثر.

- هل احتفظتَ بخطابها إليك؟

- لا، لقد مزقته.

تدخل الدكتور ستيلينغفليت في الحديث فجأة وسأل ريستاريك: هل كلمَتك ابنتك نورما عنها؟

- نعم، لقد ذكرت اسمها أمامي عرَضاً.

- ماذا قالت على وجه التحديد؟

- قالت: "لقد رأيت لويز بالأمس يا أبي"، فسألتها: "أين رأيتِها؟"، فأجابت: "في مطعم العمارة التي أسكن فيها"، فقلت لها: "لم أكن أتصور أنك سوف تتذكرينها بعد كل هذه المدة"، وعندئذ قالت: "أنا لم أنسَ شيئاً قط، أمي لم تدعني أنسى شيئاً".

قال الدكتور ستيلينغفليت: أجل، هذا قطعاً له دلالات خاصّة.

واستدار بوارو فجأة إلى كلوديا وسألها: وأنت يا آنسة،

هل تحدثت معك نورما عن لويز؟

أجابت كلوديا بهدوء: نعم، بعد حادث الانتحار قالت إنها كانت امرأة شريرة.

قال بوارو: هل كنتِ هنا في الساعة التي حدث فيها الانتحار؟

أجابت: لا، بل قضيت الليلة في الخارج وسمعت عن الحادث في اليوم التالي.

ثم استدارت نحو ريستاريك وقالت: هل تذكر يا سيد ريستاريك؟ لقد كان ذلك في يوم ٢٣، يوم أن ذهبتُ إلى ليفربول.

قال ريستاريك: نعم، طبعاً، لقد ذهبتِ تمثلين الشركة في اجتماع الشركات.

قال بوارو: ولكن نورما قضت الليلة هنا، أليس كذلك؟

بدا الحرج على كلوديا وأجابت: بلى، لقد قضت الليلة هنا.

سألها ريستاريك بقلق: كلوديا، ماذا تعرفين عن نورما؟ هل هناك شيء تخفينه عني؟

قالت بحدة: بالطبع لا، ماذا هناك لأخفيه.

قال لها الدكتور ستيلينغفليت: أنت تعتقدين أن نورما مجنونة، وفرانسيس أيضاً تعتقد ذلك، وأنتَ أيضاً يا سيد ريستاريك... كلنا نتصور ذلك وإن كان الحرج يمنعنا من الكلام،

كلنا ما عدا المفتش نيل؛ إنه لا يفكر في شيء بل يجمع الحقائق فقط. هل هي مجنونة أم قاتلة؟ ما رأيك يا سيدة أوليفر؟

فقفزت السيدة أوليفر من مقعدها قائلة: أنا؟ لا أدري.

فقال ستيلينغفليت: أنت تتحفظين في إبداء الحكم وأنا لا ألومك. الرأي العام مشترك في أن نورما مجنونة، فهل هناك من يقول بأن نورما عاقلة وليست مجنونة؟

قال بوارو: الآنسة باترسي.

- من الآنسة باترسي؟

قال بوارو: مديرة مدرستها.

قال ستيلينغفليت: هي إذن امرأة ممتازة، وأنا أوصي كل أب بأن يضع ابنته تحت تصرفها، أنا الآن أعرف كل شيء عن الفتاة.

حدق إليه ريستاريك ثم صاح: من أنت بالله عليك؟ كيف لك أن تعرف أيّ شيء عن ابنتي؟

قال المفتش نيل: هذا هو الدكتور ستيلينغفليت، أخصائي شهير في علم النفس والتحليل النفسي.

قال الطبيب: أنا أعرف كل شيء عن نورما ريستاريك لأنها كانت في عيادتي النفسية وتحت رعايتي طوال الأيام الماضية.

صرخ ريستاريك: وكيف سمحت لنفسك بأن تدخلها العيادة دون إذني، من أذن...؟

فقال بوارو بهدوء: أنا.

فصاح ريستاريك: أنت... أنت...

ثم عجز عن إتمام قوله فقال بوارو: لقد كنت أنفّذ تعليماتك بالحرف؛ لقد طلبت منّي أن أعثر عليها وأحافظ على سلامتها وهذا ما فعلته، عثرت عليها ثم عهدت بها إلى صديقي الدكتور ستيلينغفليت؛ فقد كانت في خطر شديد.

قال المفتش نيل: هل أنت مستعد يا دكتور ستيلينغفليت أن تدلي بشهادتك في المحكمة بخصوص حالة نورما العقلية، وعن مدى مسؤوليتها في جريمة القتل؟

قال الطبيب: طبعاً، ولكنكم جميعاً تريدون أن تعرفوا ما إذا كانت نورما عاقلة أم مجنونة؟ حسناً، هذه هي شهادتي: إنها عاقلة، عاقلة مثل أي شخص من الموجودين الآن في الحجرة.

* * *

-٢١-

حملق الجميع في الطبيب ذاهلين فقال باسماً: هذه مفاجأة لكم، أليس كذلك؟

فصرخ ريستاريك: ولكنك مخطئ فيما تقول، نورما لا تعرف ما فعلته. إنها بريئة، بريئة تماماً، لا يمكن محاكمتها على فعل شيء لا تدري أنها فعلته.

فقال الطبيب: أرجو أن تتركني أتكلم قليلاً يا سيد ريستاريك. أنا أعرف ما أقول، نورما عاقلة ومسؤولة عن تصرفاتها، وبعد دقائق سوف تدخل نورما وسوف تتحدث عن نفسها، فهي الوحيدة التي لم تتكلم بعد. إنها هنا في حجرتها التي يحرسها رجال الشرطة، ولكن قبل حضورها أرجو أن تستمعوا جميعاً إلى هذه الحقيقة: عندما قابلت الفتاة لأول مرة كان جسمها مشحوناً بالعقاقير والمخدرات.

فصاح ريستاريك: هل عوّدها على المخدرات أيضاً ذلك الشاب الرقيع المنحل؟

قال الطبيب: هو الذي بدأ رحلة العقاقير معها على أية حال.

قال ريستاريك: حمداً لله، حمداً لله.

فسأله الطبيب: علام تحمد الله؟

أجاب ريستاريك: لأنني ظننت في البداية أنك تريد أن تؤذي الفتاة عندما قلت إنها عاقلة ومسؤولة عن تصرفاتها، لقد أخطأت الحكم عليك، العقاقير هي المسؤولة عن حالة الفتاة، العقاقير هي التي جعلتها تُقدم على فعل أشياء ثم تنساها بعد ذلك.

فقال ستيلينغفليت بحدة: لو أنك تركتَني أتكلم بدلاً من أن تتكلم أنت متصوراً أنك تعرف كل شيء فقد نتقدم قليلاً. أول شيء هو أنّ نورما ليست مدمنة مخدرات، لا يوجد بجسمها آثار حقن وهي أيضاً لا تتعاطى الكوكايين؛ فقد كان هناك شخص يدسّ لها المخدرات دون أن تدري. المخدرات والعقاقير التي كانت تجعلها تفقد الشعور بالوقت وتتصور أن شيئاً ما قد استغرق زمناً مع أنه استغرق لحظات معدودة، شخص ما بارع كالشيطان هو الذي كان يدس العقاقير للفتاة دون علمها في شرابها وأدويتها وطعامها حتى بدأت تشعر كأنها مختلفة عن الناس وأنها على أبواب الجنون.

صاح ريستاريك: هذا ما أقوله، نورما ليست مسؤولة عن شيء، شخص ما كان يوحي لها بأن تتناول هذه العقاقير.

قال الطبيب: أنت لم تفهم ما قلته، لا أحد كان في استطاعته أن يجعل الفتاة تُقدِم على شيء لا تريد فعله، ولكن كان في استطاعته فقط جعلها تتصور أنها فعلت شيئاً لم تفعله، والآن سوف نستدعي نورما ونجعلها تحكي لنا ما حدث لها.

ثم نظر إلى المفتش الذي أومأ له بالموافقة فسار الطبيب نحو باب الخروج وقال لكلوديا في أثناء خروجه: حبذا لو أيقظتِ فرانسيس كاري من غفوتها وأحضرتِها إلى هنا؛ فأنا في حاجة إلى مساعدتها أيضاً.

وخرج الاثنان معاً ثم عاد الطبيب وهو يتأبط ساعد نورما ويقول لها مشجّعاً: هيّا، هيّا تشجّعي، لن يؤذيك أحد، اجلسي.

أطاعته نورما وجلست في حين وقفت المرأة التي أقامتها الشرطة لحراستها بجوار باب الحجرة. قال لها ستيلينغفليت: كل ما أريده منك هو أن تذكري الحقيقة، الأمر ليس صعباً.

وفي تلك اللحظة عادت كلوديا وفي صحبتها فرانسيس التي كانت تتثاءب بقوة وتقول: كم أودّ لو تركتموني أنام، أنا متعبة جداً.

فقال الطبيب: لن ينام أحد قبل أن أنتهي من كل شيء، والآن يا نورما أرجوك أن تجيبي على أسئلتي، لقد ذكرَت لنا الآنسة جاكوب أنك اعترفت بالقتل، فهل هذا صحيح؟

فقالت نورما بهدوء: نعم، لقد قتلت دافيد.

- هل طعنتِه؟

- نعم.

- كيف عرفت ذلك؟

- لا أفهم سؤالك، لقد كان دافيد على الأرض.

- وأين كانت السكين؟

- لقد التقطتها.

- هل كانت عليها دماء؟

- نعم، وكان على قميصه أيضاً دماء.

- كيف كان ملمس الدماء التي على السكين، الدماء التي حاولت أن تغسلي يديك لتنظيفها منها؟ هل كانت سائلة أم كانت لزجة مثل مربى الفراولة؟

ارتجفت نورما وقالت: كانت لزجة مثل مربى الفراولة، لذلك ذهبت إلى الحمام لأغسل يدَيّ.

قال: هذا تصرف معقول جداً، الآن اكتملت الصورة، المجنيّ عليه والجانية والسكين أيضاً، هل تذكرين حقاً أنك طعنت دافيد؟

قالت: لا، لا أذكر ذلك، ولكن لا بد أنني القاتلة، أليس كذلك؟

قال ستيلينغفليت باسماً: لا تسأليني فأنا لم أكن موجوداً، أنت التي تقولين ذلك، ولكن كانت هناك جريمة قتل أخرى قبل هذه، أليس كذلك؟

قالت: هل تقصد لويز؟

- نعم، أقصد لويز، متى فكّرت لأول مرة في قتلها؟

- منذ سنوات وسنوات.

- عندما كنتِ طفلة؟

- نعم.

- ولكن كان عليك أن تنتظري سنوات عديدة لكي تحققي هدفك، أليس كذلك؟

- كنت قد نسيت كل شيء عنها.

- حتى رأيتِها من جديد وعرفتها؟

- أجل.

- لماذا كنت تكرهينها في طفولتك؟

- لأنها أخذت أبي، أبي أنا، منّي.

- وتسببت في تعاسة والدتك.

- لقد كانت أمي تكره لويز، كانت تقول إن لويز امرأة شريرة.

- هل كانت تكلمك كثيراً عنها؟

- نعم، وكنت أتمنى لو أنها لم تكلمني؛ لقد كان يضايقني أن أستمر في السماع عنها.

- هذا مملّ جداً، الحقد أمر ممل جداً، أمر ليس فيه طرافة ولا ابتكار. ولكن عندما رأيت لويز في هذه العمارة هل شعرت برغبة في قتلها؟

لمعت في عيني نورما نظرة اهتمام غريبة وقالت: في الحقيقة لا، لقد بدا الأمر بعيداً جداً، لم أستطِع أن أتصور نفسي، ولهذا...

قال ستيلينغفليت مكملاً: لهذا لم تتصوري أنك أنت التي قذفتِها من النافذة.

- أجل، كان في ذهني تصوّر غريب عن أنني لست مسؤولة عن موت لويز وأن الأمر كله كان حلماً، وأنه من الجائز أنها حقاً ألقت بنفسها من النافذة.

- حسناً، ولم لا؟

- لأنني أعرف أنني أنا التي فعلت ذلك؛ فأنا قلت إنني فعلت ذلك.

- قلت ذلك لمن؟

- لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال؛ فهي إنسانة كانت عطوفة جداً معي وحاولَت أن تساعدني، وقد قالت إنها سوف تتظاهر بأنها لا تعرف شيئاً عن جريمتي. كان ذلك خارج باب شقة لويز، الشقة رقم ٦٧، وكنت أشعر بأنني أسير في نومي. قالت إنه وقع حادث، وقع في الفناء، واستمرّت تقول بأنني لا علاقة لي بالحادث وأن أحداً لم يعرف قط، ولم أكن أذكر ما فعلته لكن كان هناك ذلك الشيء في يدي.

- الشيء؟ أيّ شيء؟ دماء؟

- لا، قطعة من قماش ستارة النافذة، عندما قذفت لويز من النافذة.

- أنت لا تذكرين كيف قذفتها من النافذة، أليس كذلك؟

أجابت بسرعة: لا أتذكر أي شيء من هذا، وهذا ما يجعل

الأمر بشعاً تماماً! أنا لم أكن أتذكر شيئاً، من أجل هذا رجوت... من أجل هذا ذهبت إلى...

ثم أشارت إلى بوارو قائلة: إليه.

ثم استدارت نحو الطبيب وقالت: لقد كنت أنسى كل شيء، ولكنني كنت أجد في حاجياتي أدلة على ارتكاب الجرائم. أنا المسؤولة عن تسميم زوجة أبي؛ فقد عثرت على زجاجة السم في خزانتي، وفي حجرتي في الشقة وجدت سكيناً ومسدساً لا أدري من أين وصلاني. أنا أقتل الناس دون أن أعرف، لذلك فأنا لست قاتلة ولكني فقط مجنونة... هذا ما اكتشفته أخيراً، أنا مجنونة. ما دمت قد حضرت إلى هنا وطعنت دافيد فلا بد أنني مجنونة.

قال: أنت شديدة الرغبة في أن تكوني مجنونة، أليس كذلك؟

أجابت: أنا، بلى، أعتقد ذلك.

سألها: إذا كان ذلك صحيحاً فلماذا اعترفتِ لصديقة لك بأنك قذفت لويز من النافذة؟ ومن هذه الصديقة؟

أجابت: كلوديا هولاند.

صاحت كلوديا: هذا كذب، أنت لم تخبريني بشيء من ذلك قط.

قالت نورما: ولكني أخبرتك، لقد أخبرتك.

وسألتها كلوديا: متى؟ أين؟

أجابت: أنا... لا أدري.

قالت فرانسيس فجأة: لقد أخبرتني نورما بأنها اعترفت لك بكل شيء يا كلوديا، بصراحة لقد تصورت أنها اخترعت القصة كلها.

ونظر الطبيب إلى بوارو وقال: من الجائز أن نورما اخترعت هذه القصة، ولكن إذا فرضنا ذلك فيجب أن نجد دافعاً قوياً يجعلها ترغب في موت هذين الشخصين، لويز كاربنتر ودافيد بيكر، فما الدافع؟ حقد صبياني؟ حقد مضت عليه سنوات وسنوات؟ كلام فارغ، الرغبة في التحرّر من دافيد؟ الفتيات لا يقتلن من أجل هذا، يجب أن نجد دافعاً أقوى وأكثر جدية، المال مثلاً، الجشع، الطمع.

ثم استدار الطبيب فجأة إلى أندرو ريستاريك وقال: ثمة شخص يَنقص من هذه المجموعة، أين زوجتك يا سيد ريستاريك؟

أجاب ريستاريك: لا أفهم أين اختفت، لقد سألت عنها هاتفياً وتركَت لها كلوديا رسائل في كل مكان قد تتردد عليه، أعتقد أنها سوف تنضم إلينا بعد قليل.

قال بوارو: لعلنا نفكر بطريقة خاطئة، لعل السيدة ريستاريك معنا الآن.

صاح ريستاريك: ماذا تعني بالله عليك؟

ولكن بوارو لم يجِبه، بل استدار نحو السيدة أوليفر التي فزعت من تحوله إليها وقال لها: أين الملف الذي أعطيته لك؟

فقالت السيدة أوليفر: ها هو.

ثم أخرجته من حقيبتها وأعطته لبوارو الذي فتح الملف وأخرج منه شعراً مستعاراً ذهبياً أمسكه في يده وقال: السيدة ريستاريك ليست هنا، ولكن شعرها الذهبي المستعار هنا، شيء عجيب، أليس كذلك؟

فقال له نيل: من أين حصلت على هذا الشعر المستعار يا بوارو؟

قال بوارو: لقد وجدته في حقيبة الآنسة فرانسيس كاري التي لم تكن قد حانت لها الفرصة لكي تخرجه منها. والآن دعونا نرى كيف يبدو وجه الآنسة فرانسيس كاري إذا ألبسناها الشعر المستعار.

وفي حركة سريعة وضع بوارو الشعر الذهبي المستعار فوق رأس فرانسيس كاري ذات الشعر الأسود فصاحت السيدة أوليفر: يا إلهي، هذه ماري ريستاريك!

كانت فرانسيس كاري أو ماري ريستاريك تتلوّى في مكانها كالحية الثائرة، ونهض أندرو ريستاريك ليقترب منها ولكن المفتش نيل حال بينهما قائلاً: لا نريد أيّ اعتراف منك. لقد انتهت اللعبة كما تعلم يا سيد ريستاريك، أم تحب أن أناديك السيد روبرت أورويل؟

هدر ريستاريك أو أورويل غاضباً حانقاً ولكن فرانسيس صاحت فيه: اصمت أيها الأحمق.

أما بوارو فقد اقترب من نورما وتناول يدها قائلاً: لقد

انتهت محنتك يا طفلتي. أنت لست مجنونة ولا قاتلة ولكنك كنت ضحية لهذين المجرمَين الخطيرين اللذَين تآمرا ضدك بالعقاقير والأكاذيب لكي يدفعا بك إلى الانتحار أو الجنون.

ولكن نورما كانت تنظر إلى المتآمر الأول مذهولة، ثم صاحت أخيراً: أبي، أبي يتآمر ضدي؟! أب يتآمر ضد ابنته؟ أبي الذي يحبني؟!

قال بوارو بعطف: ليس هذا أباك يا ابنتي، بل هو رجل غريب جاء إلى إنكلترا بعد وفاة والدك الحقيقي ممثلاً دور أبيك لكي يضع يديه على ثروة أبيك الضخمة. كان كل شيء سهلاً أمامه لولا ظهور ذلك الشخص الذي كان من المؤكَّد أن يعرف أنه ليس أندرو ريستاريك الحقيقي، ذلك الشخص هو لويز كاربنتر، صديقة ريستاريك منذ خمسة عشر عاماً.

* * *

الخاتمة

جلس هيركيول بوارو في حجرة مكتبه ومعه نورما ريستاريك والدكتور ستيلينغفليت والسيدة أوليفر، وصاحت السيدة أوليفر بعتاب: هناك أشياء كثيرة لم أفهمها بعد أيها الخبيث بوارو.

قال بوارو: ولكني يا صديقتي العزيزة مدين لك بكل شيء، كل أفكاري في هذه القضية مصدرها أنت.

فنظرت إليه السيدة أوليفر بارتياب فقال: أنتِ التي ذكرت لي لأول مرة مصطلَح «الفتاة الثالثة». لقد بدأت من هذا المصطلح ثم انتهيت إليه أيضاً، انتهيت عند الفتاة الثالثة التي تسكن مع الفتاتين في الشقة. كان من المفروض دائماً أن نورما ريستاريك هي الفتاة الثالثة، ولكن عندما نظرت إلى الأمر من الوجهة الصحيحة اتضح لي كل شيء، الجواب الناقص والجزء التائه في المعضلة. في كل مرة كانت الإجابة هي الفتاة الثالثة، أعني الفتاة التي لم تكن موجودة قط، لقد كانت مجرَّد اسم بالنسبة لي لا أكثر.

ثم استطرد قائلاً: ومرة أخرى أنت التي نبّهتني إلى سهولة

تغير وجه المرأة بمجرد تغيير شعرها أو تصفيف شعرها. لقد درست فرانسيس كاري التمثيل وقد كانت تعرف كل شيء عن مساحيق الزينة السريعة وعن تغيير الصوت أيضاً، في دور فرانسيس كان شعرها أسود يغطّي جبينها ونصف وجهها، وكانت تضع مساحيق تجعل وجهها ممتقعاً ورموشاً اصطناعية وكان صوتها مبحوحاً، أما في دور ماري ريستاريك فقد كان شعرها ذهبياً ولهجتها أجنبية قليلاً وثيابها محتشمة. الشخصيتان متناقضتان تماماً، ومع ذلك فالمرء كان يشعر منذ البداية أنها ليست حقيقية. أيّ فرع من النساء هي؟ هذا ما لم أعلمه، لقد غلبت الشيطانة ذكائي، غلبت ذكائي أنا هيركيول بوارو.

قهقه ستيلينغفليت وقال: هذه أول مرة أسمعك تتواضع فيها يا بوارو، حقاً هذا هو زمن المعجزات!

قالت السيدة أوليفر: ولكني لا أفهم لماذا كانت هذه المرأة تستعمل شخصيتين بدلاً من شخصية واحدة! هذا أمر متعب حقاً ولا داعي له أيضاً.

قال بوارو: بل كان ضرورياً لها؛ فهو يعطيها الفرصة لكي تكون في مكانين في وقت واحد ويدفع عنها شبهة ارتكاب أيّ جريمة ويعطيها الدليل على أنها غير موجودة في المكان الذي لا تريده، أو أنها موجودة في المكان الذي تريده. كان كل شيء أمام عينيّ منذ البداية ولكني لم أفهمه، امرأتان لم تجتمعا في مكان واحد قط، حياتهما مرتبة ترتيباً شيطانياً بارعاً وكل ساعة فيها محسوبة بدقة وعناية. ماري ريستاريك عندما تختفي من المنزل فمن المفروض أنها في لندن تشتري بضائع أو تبحث عن منزل جديد... وفرانسيس كاري عندما لا تكون في الشقة فالمفروض

أنها تسافر في رحلات فنية لتنظيم المعارض واكتشاف المواهب الفنية، هذه المواهب التي كانت تستخدم أصحابها في تزييف اللوحات الأصلية وتوزيع المخدرات، وكان دافيد بيكر واحداً من الذين استخدمتهم لبراعته في تقليد الرسامين القدامى.

فغمغمت نورما: مسكين دافيد، عندما قابلته لأول مرة حسبته فناناً ممتازاً.

قال بوارو: هذه الصورة، الصورة المفروض فيها أنها صورة أندرو ريستاريك بريشة لانسبرغر منذ خمسة عشر عاماً هي في الحقيقة صورة روبرت أورويل بريشة دافيد بيكر مقلّداً فيها لانسبرغر لكي تتمشى مع صورة زوجة ريستاريك الأولى بريشة لانسبرغر، والذي حدث أن روبرت أورويل استخرج من المخزن صورة أندرو ريستاريك الحقيقي وصورة زوجته، ثم أعدم صورة أندرو ريستاريك وجعل دافيد بيكر يرسمه هو بحيث يجعله يبدو أصغر مما هو كما رأيناه بخمسة عشر عاماً، وهي فكرة شيطانية جعلتنا نقبل روبرت أورويل على أنه أندرو ريستاريك، ومن أجل هذا أيضاً نقلها من المنزل إلى حجرة مكتبه في الشركة.

قالت السيدة أوليفر: ولكن الأمر كله كان مخاطرة شديدة بالنسبة له.

قال بوارو: بل كان أسهل كثيراً مما نتصور؛ ها هو أندرو ريستاريك يعود من إفريقيا ومعه زوجة شابة بعد خمسة عشر عاماً، ثم يتسلم مكان أخيه في الشركة ويعيش مع خاله العجوز المخرّف الذي لم يرَ أندرو الحقيقي منذ أيام الدراسة. أيّ إطار

أجمل من هذا؟ رجل لا أقرباء له سوى ابنته التي لم تره منذ خمسة عشر عاماً عندما كانت طفلة في الخامسة.

وعقد بوارو ذراعيه خلف ظهره وعاد يكمل قائلاً: ويبدو أنه قابل شريكته فرانسيس في كينيا منذ عامين، وكان الاثنان محتالَين رغم اختلاف وسائلهما في الاحتيال. كان مجال احتياله في المشروعات واكتشاف المناجم والبحث عن الذهب، وكان قد عرف أندرو ريستاريك وكوّن معه شركة ريستاريك وأورويل للبحث عن المعادن، وذهب الاثنان إلى مناطق نائية حيث مات أندرو ريستاريك الحقيقي فتقمّص روبرت أورويل شخصيته وأعلن أن الذي مات هو روبرت أورويل وأن الذي عاش هو أندرو ريستاريك.

قال ستيلينغفليت: لقد فعل ذلك بأمل الحصول على أموال ريستاريك طبعاً.

قال بوارو: أجل؛ فشركة ريستاريك شركة غنية جداً تستحق تلك المخاطرة.

وهكذا عاد أندرو ريستاريك (الذي هو في الحقيقة روبرت أورويل) عاد إلى إنكلترا ومعه شريكته ماري، التي هي في الحقيقة فرانسيس كاري. لم يشكّ أحد في شخصيتهما وسارت الأمور كما يشتهيان فترة، وفجأة بدأ الماضي يهاجم الحاضر، جاء خطاب من لويز التي من المؤكد أنها إذا رأت أورويل فسوف تكشف احتياله فوراً، وشيء آخَر، بدأ دافيد بيكر يبتزّ منهما النقود.

قال ستيلينغفليت: كان يجب أن يتوقعا ذلك من دافيد.

قال بوارو: لم يتوقعا ذلك؛ فهو لم يطالبهما قبل ذلك بنقود، ولكنه بدأ يطالب بنصيب ضخم عندما اكتشف مدى ثراء شركة ريستاريك. لقد تقاضى طبعاً مبلغاً كاملاً مقابل تزييف الصورة ولكنه أراد أكثر من ذلك، وهكذا بدأ أورويل يدفع له دفعات متزايدة متظاهراً بأنه يدفع له حتى يترك ابنته، وأنا لا أدري هل كان دافيد حقاً يرغب في الزواج بنورما أم لا، ولكن ابتزاز المال من محتالَين مثل روبرت أورويل وفرانسيس كان شيئاً في غاية الخطورة.

قالت السيدة أوليفر: هل تعني أنهما قررا لذلك قتل دافيد؟

قال بوارو: نعم، ولعلهما كانا يريدان أن يضيفا اسمك إلى قائمة قتلاهم يا صديقتي، كان من الممكن أن تصبحي القتيلة الثالثة.

فصاحت السيدة أوليفر: أنا؟! هل تقصد أن واحداً منهما هو الذي هاجمني؟

قال بوارو: لا أعتقد أنه كان دافيد بيكر، بل فرانسيس هي التي اعتدت عليك لكي تبعدك عن مسرح الأحداث.

ثم اقترب بوارو من نورما وقال لها بحنان أبويّ: لقد مررت بمحنة رهيبة يا طفلتي، ولكنك نجوت الآن ولن يحدث لك شيء كهذا بعد الآن. تذكري الآن أنك تستطيعين أن تثقي في نفسك، فالمرء عندما يقترب من الشر ويتعرض له بهذه الدرجة يصبح محصَّناً ضده مدى الحياة.

قالت نورما: أعتقد أنك على صواب. لقد كان شيئاً مفزعاً

أن أتصور أنني مجنونة، لقد صدّقت تماماً أنني قتلت لويز ودافيد بيكر، ولا أتصور حتى الآن كيف نجوت من كل هذا؟

قال ستيلينغفليت: كانت الدماء مزيَّفة، كانت الدماء التي على القميص قد بدأت تجفّ مع أن المفروض أنك قتلت دافيد بيكر قبل حضور فرانسيس كاري بدقائق.

قالت السيدة أوليفر: ولكن كيف تمكنت فرانسيس من أن تقتل دافيد مع أنها عادت من مانشستر بعد موته؟

قال ستيلينغفليت: لقد جاءت إلى المنزل مرتين، المرة الأولى في شخصية ماري ريستاريك وصعدت بالمصعد على أنها امرأة غريبة ثم دخلت الشقة بناء على موعد بينها وبين دافيد الذي لم يكن يتصور أنها ستطعنه، ولذلك غافلته وطعنته ثم خرجت وراقبت المنزل وهي مختبئة حتى رأت نورما قادمة، وعند ذلك دخلت دورة مياه في الشارع وانتقلت من شخصية ماري ريستاريك إلى شخصية فرانسيس كاري وعادت إلى المنزل وقابلت في طريقها صديقة لها اسمها إيلين، وسارت الاثنتان معاً حتى باب المنزل وعند ذلك حيّت كل منهما الأخرى، ودخلت فرانسيس المنزل وصعدت بالمصعد ودخلت الشقة ثم مثّلت دور الخائفة المرعوبة وهي سعيدة في أعماقها لنجاح خطتها. أما أنت يا نورما فقد أرعبتِنا جميعاً بإصرارك على أنك قتلت دافيد بيكر وبإصرارك على أنك قتلت لويز كاربنتر.

فتنهدت نورما وقالت: لقد أردت أن أعترف وأنتهي من كل شيء. كان نوعاً من الانتحار، ولكن هل صدّقتَ حقاً أنني قاتلة؟

صاح الطبيب: أنا، طبعاً لا؛ فأنا أعرف مرضاي جيداً، ولكني كنت أعرف أنك سوف تجعلين الأمور صعبة بالنسبة لنا جميعاً، ولم أكن أعرف إلى أي مدى سوف يصدّق المفتش نيل كلامي.

فابتسم بوارو وقال: المفتش نيل وأنا أصدقاء منذ سنوات بعيدة، وفضلاً عن ذلك فقد كان يساعدني في التحري عن بعض المعلومات في هذه القضية منذ فترة، وأحب أن تعرفي -يا عزيزتي نورما- أنك لم تجدي نفسك قط خارج باب شقة لويز، فالذي حدث أن فرانسيس غيرت أرقام الشقة، نقلت رقم ٦ مكان رقم ٧ فعكست الرقم ٦٧، فأرقام الشقق يسهل خلعها وتثبيتها من جديد. كانت كلوديا خارج المنزل في تلك الليلة وتمكنت فرانسيس من أن تدسّ لك كمية من العقاقير حتى إنك شعرت بأنك في كابوس غريب، وقد تبينت الحقيقة على الفور، فالشخص الوحيد الذي كان في إمكانه أن يقتل لويز هو «الفتاة الثالثة»، أي فرانسيس كاري.

وهنا نهضت السيدة أوليفر وهي تتنهد وقالت: يجب أن أعود الآن إلى بيتي، ولكن ماذا نحن صانعون بنورما؟

حدّق الجميع إليها فقالت: أنا أعرف أنها ضيفة في منزلي حالياً وأعتقد أنها سعيدة جداً معي، ولكني أتكلم عن المستقبل. ها هي نورما الصغيرة وقد أصبحت فجأة مليونيرة لأنها ورثت كل أموال شركة ريستاريك. قد يكون في استطاعتها أن تعيش مع السيد رودريك ولكني لا أظن أن في ذلك متعة لها؛ فهو نصف أعمى ونصف أصمّ وأنانيّ تماماً. يجب أن نكون عمليين

ويجب أن نخطط لمستقبلها؛ فهي لا تعرف ماذا تريد ويجب أن يرشدها شخص ما.

فابتسم بوارو ولم يتكلم في حين قال ستيلينغفليت: حسناً، أنا ذلك الشخص؛ فأنا مسافر إلى أستراليا يوم الثلاثاء القادم، وعندما أصل فسوف أتفقد الأحوال، وإذا اطمأَننت فسوف أرسل برقية إلى نورما لكي توافيني إلى هناك حيث نتزوج ونبدأ حياتنا معاً. ويجب أن تتأكدي يا نورما أنني لا أسعى خلف أموالك فأنا لا أحلم بمشروعات ضخمة ولا بأحلام وهمية، كل ما يهمني هو دراسة نفسيات الناس.

فنظرت نورما إلى ستيلينغفليت بإمعان شديد كأنها تدرسه وتزنه ثم ابتسمت، وكانت ابتسامة صافية بديعة كأنها ابتسامة طفل، وقرنت ذلك بأن قالت: حسناً، أنا موافقة.

ثم سارت نحو بوارو وقالت له: لقد كنت وقحة أيضاً معك عندما اقتحمت مسكنك وصرخت في وجهك بأنك عجوز جداً لا تستطيع مساعدتي. كانت وقاحة مني لأنك ساعدتني كما لم يساعدني أحد قط.

وضعت يديها على كتفيه وهي تنظر إليه نظرة امتنان وتقدير، ثم قالت لستيلينغفليت: يحسن بك أن تستدعي لنا سيارة أجرة.

فخرج ستيلينغفليت وخرجت خلفه نورما، وهمّت السيدة أوليفر بأن تلحق بهما ولكن بوارو استوقفها قائلاً: لحظة واحدة يا عزيزتي، لقد سقطت بعض خصلات باروكة شعرك.

وناولها الخصلات فقالت: ما أبشع الأشياء التي يصنعونها

في هذه الأيام! ولكن أخبرني أيها الخبيث، عندما جمعت بين نورما وستيلينغفليت هل كنت تقصد أن...

فقاطعها بوارو: طبعاً؛ فهو شابّ ممتاز.

فقالت: هذا ما ظننته. أنت ثعلب عجوز!

ثم تبادل الاثنان ابتسامة تفاهم عميق.

* * *

(تمت)